آليات الحِراك الاجتماعي الصاعد لدى الفقراء
دراسة في سوسيولوجيا الزحف الهاديء

فاطمة الزهراء علي أمين راضي*

fatmaelzahraaali2@gmail.com

ملخص

بربط قضية الحِراك الاجتماعي بشريحة الفقراء بصفة خاصة يتبادر إلى الذهن تساؤل مهم يبحث عن مدى قدرة أفراد هذه الشريحة على ممارسة الحِراك النسبي رغم ضيق فرص الحياة والانتقال أمامهم عبر طبقات السلم الاجتماعي ومن هنا تنطلق إشكالية الدراسة من التساؤلات التالية :

هل الفقراء قادرون على ممارسة الحراك الاجتماعي الصاعد ؟ وما أهم الآليات التي يلجئون إليها لتحقيق ذلك ؟

كما تهدف إلى :

١- الوقوف على نمط واتجاه الحراك الاجتماعي [حراك صاعد أم حراك هابط؟] لدى الفقراء.

٢- رصد ديناميات الحراك الاجتماعي لدى الفقراء، والكيفية التي يتحركون بها عبر الطبقات الاجتماعية في مراحل حياتية مختلفة.

٣- رصد الأبعاد الموضوعية [كالدخل والمهنة]، والأبعاد الذاتية [كالرغبة في الاندماج والطموح والإنجاز، ورؤية الفقراء لذواتهم وللآخرين] لقضية الحراك الاجتماعي لدى شريحة الفقراء.

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كأحد المناهج التي تتيح جمع الحقائق والمعلومات عن حياة حالات الدراسة في مراحل حياتية مختلفة ؛حتى تتيسر عملية المقارنة بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الحالية وبين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأسرة الأولى ،الأمر الذي يكون بمثابة دليلاً منهجيًا على شكل وطبيعة واتجاه عملية الحراك الاجتماعي لديهم.

الكلمات المفتاحية :الحراك الاجتماعي ، شريحة الفقراء ، الزحف الهاديء

* مدرس بقسم الاجتماع بكلية الآداب – جامعة القاهرة

أولاً: مقدمة في إشكالية الدراسة

يعتبر الحِراك الاجتماعي من العمليات الاجتماعية الأساسية التي لها أهمية خاصة في حياة المجتمعات البشرية، فهو سمة ملازمة لهذه المجتمعات حيث لا يكاد يخلو مجتمع من تحرك الأفراد من مركز اجتماعي إلى مركز اجتماعي آخر.

فالحراك الاجتماعي هو حركة الأفراد في الطبقات المختلفة والجماعات المهنية، والفرص المتاحة أمامهم للدخول في هذه الحركة، فهو آلية يتيح بها المجتمع الفرص أمام الأفراد لتغيير مواقعهم ومواقفهم وأوضاعهم الاجتماعية(عمران، 2016: ١)

وتعتبر درجة الحِراك الاجتماعي الصاعد دليلاً على ما يتمتع به مجتمع ما من الانفتاح ؛ لأنه يشير إلى المدى الذي يستطيع فيه الأفراد الموهوبون الذين ولدوا في شريحة اجتماعية دنيا أن يرتقوا إلى أعلى السلم الاجتماعي التراتبي، فالمجتمعات المغلقة فقط هى التي يقل فيها الحراك الاجتماعي إلى أدنى المستويات وهذا ما يعني أن الحِراك الاجتماعي في نمطه المثالي يفترض وجود مجتمع مفتوح، يخبر قدر من السيولة والحركة تتيح للأفراد أن يتحركوا بحرية عبر السلم الاجتماعي على قدر ما يتوافر لهم من قدرات، وعلى قدر ما يبذلونه من جهد دون النظر إلى مكانتهم الاجتماعية عند الولادة، ومن ثم فإن الحِراك الاجتماعي إذا ما وجد في هذه الصورة المثالية، فإنه يُعد مؤشرًا على أن المجتمع قد تجاوز النظرة التقليدية المحدودة التي تقدر الفرد في ضوء مكانته الموروثة، واتجه إلى تقدير الأفراد في ضوء مكانتهم المكتسبة (زايد،٢٠١٣: ١٣٥).

لُيصبح بذلك الحِراك الاجتماعي الوسيلة الفاعلة والمؤثرة التي من خلالها يحقق الفرد ذاته وآماله وتطلعاته (عمران، ٢٠١٦، ص١)، فالمجتمع أتاح له أن يرتقي طالما تملك القدرات والكفاءات التي يرتقي بها.

كما أن الحِراك الاجتماعي في هذه الصورة المثالية يُعد مؤشرًا أيضًا على حالة من العدالة في توزيع القيم وفي توزيع الفرص، ويقدم تصورًا مثاليًا عن تجاوز الأحكام الشخصية والتقويمات المتحيزة إلى العدالة الناجزة ولا نحسب أن هذه الصورة المثالية متحققة بهذا الشكل في مجتمع من المجتمعات، فظروف الحياة الاجتماعية

تفرض صورًا من الكبح والاستبعاد واللامساواة والفقر تجعل من هذا النموذج المثالي أمرًا صعب المنال، وتقترب المجتمعات من هذه الصورة المثالية أو تبتعد عنها في ضوء طبيعة نظامها الاجتماعي، فكلما تخلى المجتمع عن قيم العمومية، وعن مبدأ العدل في توزيع الفرص كلما أغلقت أبواب الحراك الاجتماعي وجمدت ديناميته أمام الفئات غير القادرة، والتي ليس لها ظهير من جاه أو عزوة أو سلطة، وتتحول أنساقه إلى أنساق مغلقة تعمل وفقًا لمبادئها الخاصة وتبتعد أكثر عن الالتزام بمبادئ عامة، وتصنف المجتمعات في درجة انفتاح أنساقها على متصل يبدأ من المجتمعات المغلقة التي لا حِراك فيها، والتي تحدد مكانة الأشخاص فيها بالولادة إلى المجتمعات المفتوحة التي تقدر بالإنجاز والتنافسية والنزاهة، فيحقق الأفراد فيها صورًا مختلفة من الحِراك (زايد، مرجع سابق :٥).

ولابد من الاعتراف بأن الأنساق المغلقة واللامساواة الاجتماعية سمات أساسية في مجتمعنا المصري وأن بنيته الطبقية ماتزال بنية هرمية وأن ما توصف به العلاقة بين الطبقات فيه أنها علاقة تناقض بين طبقتين أساسيتين هما الطبقة العليا والطبقة الدنيا (الصياغ، ٢٠٠١: ٣٦٧). فلم يعد في مصر إلا طبقتين هما الطبقة الغنية صاحبة الثراء الواسع والطبقة الفقيرة والمعدمة (زكي، ١٠:١٩٩٨).

ويرجع ذلك بالأساس إلى التحولات السياسية والاقتصادية التي مر بها خاصة في العقود الأخيرة، والتي كان لها الأثر الكبير في درجة الحراك الاجتماعي ونمطه واتجاهه، وهذا ما أكده تقرير البنك الدولي عن توقف الحراك الاجتماعي في البلدان النامية خلال الثلاثين عامًا الماضية إذ خلص إلى أن(٤٦) بلدًا من بين البلدان الخمسين التي سجلت أقل درجات الحراك الاقتصادي الاجتماعي من أدنى إلى أعلى السلم الاجتماعي تقع في العالم النامي ومن بينهم مصر (البنك الدولي، ٢٠١٨).

لكن رغم هذه الصورة الاستاتيكية الجامدة للحراك الطبقي في المجتمع المصري بين مختلف شرائحه الاجتماعية،فإن ذلك لا ينفي حدوث ظاهرة الحراك بصورتها النسبية المعبرة عن نمط حراك فردي يحدث بين الطبقات عبر انتقال أفراد من طبقة إلى أخرى دون حدوث تغيرات جذرية في بنية الحياة الاقتصادية أو

الاجتماعية، وبربط قضية الحِراك الاجتماعي بشريحة الفقراء بصفة خاصة يتبادر إلى الذهن تساؤل مهم يبحث عن مدى قدرة أفراد هذه الشريحة على ممارسة هذا النمط من الحِراك النسبي رغم ضيق فرص الحياة والانتقال أمامهم عبر طبقات السلم الاجتماعي.

للإجابة على هذا التساؤل انقسمت الدراسات إلى قسمين: ركز القسم الأول منها على الأبعاد الموضوعية في حياة الفقراء؛ أي درجة انتقال الأفراد من وإلى شريحة الفقراء من الوجهة الاقتصادية، وقامت بقياس المستويات التراكمية للفقر سنة بعد سنة، ولم يول الباحثون اهتمامًا كبيرًا بموضوع "دورة حياة الفقر" ؛ أي المسار الذي تتخذه حياة الأفراد بعيدًا عن دائرة الفقر، فكان الانطباع السائد عن الفقر أنه حالة دائمة مطلقة وحتمية. غير أن وجود الفرد في شريحة الفقراء لا يعني بقاؤه فيها بصورة دائمة، فهناك الكثير من الناس ولدوا في أجواء الفقر، ثم وصلوا في مرحلة لاحقة من حياتهم إلى مرتبة اجتماعية متقدمة، فهناك أعداد مذهلة من الناس استطاعت أن تتحاشى الفقر، كما ورد في دراسة أنماط الدخل في ألمانيا بين عامي ١٩٨٤ – ١٩٩٤، والتي كشفت النقاب عن حراك اجتماعي ملموس بالخروج من دائرة الفقر عن طريق تمكن أفراد العينة من بلوغ معدل مستوى الدخل المتحقق لهم بنحو ٣٠% فوق خط الفقر المعلن (الصياغ، مرجع سابق : ٣٨٦).

أما القسم الثاني : فتناول الأبعاد الذاتية في حياة الفقراء مثل دراسة : (Marshall and Firth, 1999) واتخذ منحنى مختلفًا في استعراض قضية الحراك الاجتماعي لديهم؛ إذ إنه درس مشاعر الأفراد ومواقفهم الذاتية حول التغير في مواقعهم الاجتماعية (المرجع السابق، ٢٠٠١: ٣٨٧).

فالحراك الاجتماعي – من وإلى هذه الشريحة الفقيرة وفقًا لهذا الاتجاه – يتم بسهولة أكثر بكثير مما كان يعتقد في الماضي، بل إن الأفراد الذين يولدون في هذه الشريحة المستضعفة يغتنمون الفرص المتاحة لهم ؛ لتحسين أوضاعهم كما أن لديهم تطلعات مهنية وفنية، ويستطيعون القيام بالعمل الجاد واكتساب المهارات من أجل الاعتراف بالذات، كما أوضحت دراسة "Guerreiro Ramos" عن الجماعات الفقيرة في البرازيل (Perlman, 1979, p. 341).

فأساليب حياة الفقراء وممارساتهم، باعتبارهم يشكلون جماعات تقع في أدنى السلم الطبقي تنطوي على قدر من الثراء والدينامية تسهم في خلق تجربة طبقية محددة، وذات طبيعة خاصة تكشف عن ديناميتهم اللامتناهية وقدر من الاختيار في محاولاتهم للخروج من هذه الوضعية الطبقية، كما أكدت دراسات كل من "Janice Perlman" و Manuel Castells" " حين سعيا للكشف عن القوة الدينامية والحركية لفقراء الحضر (Miller, 2006, p. 207)، فالفقراء ليسوا كيانًا متجانسًا رغم تشابه صور الحرمان البشري فيما بينهم (المصري، ٢٠١٢: ٣١).

أو كما حاول "Oscar Lewis" وصفهم بأن لهم ثقافة خاصة تلك الثقافة المثبطة لهم مكرسًا بذلك الحتمية الثقافية التي تدعم الفقر وتعززه، فلم تكن هذه المحاولة – كما انتقده "Leeds" – إلا محاولة لنشر أفكار وأيديولوجيات تخدم مصالح النظام الرأسمالي الحاكم (Donahue, 2018,p. 807).

وبالنظر إلى كافة الأبعاد الموضوعية والأبعاد الذاتية التي ركنت إليها الدراسات في فهم حياة شريحة الفقراء، ينبغي ألا نقلل من قوة العوامل الاجتماعية الفاعلة وقدرتها على إحداث التغير والحراك الاجتماعي، ولا نتجاهل حدود الاتصال و الانفصال بين كل ما هو موضوعي وذاتي أو على نحو أكثر دقة لا ينبغي أن نغض الطرف عن الممارسات الاجتماعية وما تنطوي عليه من قدر من الدينامية عند تقاطع الخصائص الاجتماعية للفاعلين، والخصائص الاجتماعية للسياقات التي يدرجون أفعالهم فيها، من هنا تكمن إشكالية الدراسة في التساؤلين التاليين:

هل الفقراء قادرون على ممارسة الحراك الاجتماعي الصاعد ؟ وما أهم الآليات التي يلجئون إليها لتحقيق ذلك ؟

ثانياً : أهداف الدراسة

٤- الوقوف على نمط واتجاه الحراك الاجتماعي [حراك صاعد أم حراك هابط؟] لدى الفقراء.

٥- رصد ديناميات الحراك الاجتماعي لدى الفقراء، والكيفية التي يتحركون بها عبر الطبقات الاجتماعية في مراحل حياتية مختلفة.

٦- رصد الأبعاد الموضوعية [كالدخل والمهنة]، والأبعاد الذاتية [كالرغبة في الاندماج والطموح والإنجاز، ورؤية الفقراء لذواتهم وللآخرين] لقضية الحراك الاجتماعي لدى شريحة الفقراء.

ثالثًا: تساؤلات الدراسة

١-ما طبيعة واتجاه الحراك الاجتماعي لدى الفقراء ؟

٢-ما آليات ارتقائهم أو هبوطهم على السلم الاجتماعي خلال مراحل حياتية مختلفة؟

٣-هل الفقراء – رغم تدني أحوالهم وحرمانهم من الموارد – قادرون على ممارسة الحراك الاجتماعي والتنقل طبقيًا؟

٤-هل شريحة الفقراء هي شريحة اجتماعية منغلقة أم منفتحة على غيرها من الشرائح الاجتماعية؟

٥-هل نمط الحراك عند الفقراء يعبر عن قدرات فردية أم يعبر عن قدرات جماعية؟

٦-هل يحرص الفقراء على الحراك الاجتماعي بدافع رؤية اندماجية إيجابية أم بدافع تحقيق مصالح ذاتية فحسب؟

٧-هل الأبعاد الموضوعية في حياة الفقراء كالحرمان الاقتصادي تعوق الحراك الاجتماعي أم تدفع إليه لتغيير الوضع الطبقي؟

٨-هل الأبعاد الذاتية في حياة الفقراء كرؤيتهم لذواتهم وللآخرين تمثل دافع لتغيير الوضع الطبقي؟

٩-ما أهم محددات رأس المال الاجتماعي كالرغبة في الاندماج، والثقة، والطموح، والتخطيط، والعلاقات الاجتماعية، الدافعة للحراك الاجتماعي لدى الفقراء؟

١٠- ما أهم محددات رأس االمال الثقافي كاكتساب المهارات، والتعليم المستمر الدافعة للحراك الاجتماعي لدى الفقراء؟

١١- هل توجد علاقة بين النوع وبين نمط الحراك الاجتماعي واتجاهه لدى الفقراء؟

رابعًا: أهمية الدراسة

١- الأهمية النظرية

تحاول الدراسة تقديم تفسير علمي وموضوعي لقضية الحراك الاجتماعي لدى شريحة الفقراء، وذلك من خلال طرح نقدي لمقولة ثقافة الفقر التي يتنافى معها الحراك الطبقي للفقراء، ومحاولة اختبار مفهوم "بورديو" عن رأس المال النوعي،وكذلك العلاقات التي تربط بين أشكاله، وكيف أنه يعد من الأدوات التفسيرية المهمة لفهم الحراك الاجتماعي وصوره وأشكاله وأسبابه ؛ ويتميز بقابليته للتطوير والتوسع الدائمين، ويزداد الأمر أهمية عند الحديث عن شريحة الفقراء، حيث تتمثل أهم خاصية لرأس المال النوعي في قابليته للاستثمار والتوظف للحصول على رأس مال نوعي آخر، عن طريق العلاقات الداخلية التي تربط بينهما بحيث أنهما يخدمان بعضهما البعض بصورة معقدة مباشرة وغير مباشرة، فبورديو مثلاً لم ينعم برأس مال اقتصادي موروث، فهو ينتمي إلى أسرة فقيرة ولكنه حصل على أكبر قدر من رأس المال الثقافي عبر التفوق العلمي، وبعد اعتراف الجماعة العلمية الفرنسية بهذه الجدارة، اكتسب بورديو رأسمالاً رمزيًا – مكانة رفيعة – داخل المجتمع، وفي الوقت نفسه كان كل من رأس المال الثقافي والاجتماعي والرمزي السبب الرئيسي في ازدهار رأس ماله الاقتصادي. (موسى، ٢٠٠٩: ١٩).

الأمر الذي يعد إثراء للمعرفة العلمية والنظرية في مجال الدراسات المهتمة بقضايا الفقر والفقراء وبحوث التنمية الاجتماعية والتخطيط الاجتماعي و علم الاجتماع الحضري والأنثروبولوجيا الحضرية.

ب – الأهمية التطبيقية

تقديم رؤية لصانعي القرار بصفة خاصة وزارة التضامن الاجتماعي والتنمية ووزارة التخطيط والتنمية الاقتصادية بما يمكنهم من وضع وتنفيذ إستراتيجية متكاملة لتمكين الفقراء الفاعلين والقادرين على تغيير حياتهم إلى الأفضل من خلال التنمية بالمشاركة اعتمادًا على أسلوب التقييم الذاتي بالمشاركة القائم على الأخذ برؤية الفقراء ودمجهم في تغيير واقعهم الاجتماعي ونوعية حياتهم إلى الأفضل. بما يتماشى مع

أهداف إستراتيجية التنمية المستدامة لمصر ٢٠٣٠ القائمة على الاستغلال الأمثل للموارد البشرية، والاندماج الاجتماعي، والعدالة الاجتماعية، والتمكين، والمشاركة من أجل تحسين مستوى المعيشة والقضاء على الفقر بجميع أشكاله (رؤية مصر ٢٠٣٠).

خامسًا: مفهومات الدراسة

أ- مفهوم الحِراك الاجتماعي Social Mobility

الحراك الاجتماعي هو عملية انتقال الأفراد عادة، وفي بعض الأحيان جماعات بأكملها بين مواقع مختلفة في إطار نسق للتدرج الاجتماعي في أي مجتمع (سكوت، مارشال، ٢٠١١: ١٩). فبمقتضاه ينتقل الأفراد من مستوى طبقي معين إلى مستوى طبقي آخر نتيجة بعض التغيرات التي تطرأ عليه (Clark,2021, p.2) ؛لاكتساب أو افتقاد بعض الخصائص الاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي تؤهلهم لأن يشغلوا مواقع معينة، ويكونون بذلك قادرين على شغل مهام وأدوار في تلك المواقع (عمران،مرجع سابق: ٥).

وتعد دراسة الحراك الاجتماعي وتحديد مفهومه قضية ذات جذور سوسيولوجية وطيدة ترجع إلى كتابات كل من كارل ماركس، وجون ستيوارت ميل في منتصف القرن التاسع عشر، وإلى الإسهامات الأساسية لكل من فلفريدو باريتو (الذي طور نظرية دورة الصفوات)، وسوروكين في بدايات القرن العشرين (سكوت، مارشال، ٢٠١١، ص١٩).

لكن المتفحص للتراث النظري حول مفهوم الحراك قد يكتشف صعوبة في تحديد هذا المفهوم، فمن ناحية نجد أن الحراك ليس واحدًا وإنما يتخذ صورًا مختلفة، فهناك الحراك داخل الجيل ؛ أي الذي يحققه الفرد عبر حياته، وهناك الحراك بين الأجيال، أى ذلك الذي يحققه الفرد مقارنًا بالموقع الذي كان يحتله أبواه،ومن ناحية أخرى فإن الحراك الاجتماعي لا يمكن أن يكون حراكًا مطلقًا بل هو أيضًا حراك نسبي، ومن هنا كانت التفرقة بين الحراك المطلق Absolute social Mobility، والحراك النسبي Relative social Mobility. ويشير الحراك المطلق إلى انتقال

جماعات من الأفراد من طبقة إلى أخرى أو من شريحة إلى أخرى، وهو يحدث في حالات التغير الواسع النطاق الذي يحدث على أثر تغير البناء المهني أو الصناعي للمجتمع. أما الحراك النسبي فهو الحراك الذي يحدث بين الطبقات عبر انتقال أفراد من طبقة إلى أخرى دون حدوث تغيرات جذرية في بنية الحياة الاقتصادية أو الاجتماعية (زايد، مرجع سابق :١٣٦).

كما يشير مفهوم الحراك أيضًا عند "كيدت ماير" إلى إمكانية تحرك الأفراد أو الجماعات إلى أعلى أو إلى أسفل في الطبقة أو المكانة الاجتماعية، وعليه يتم تصنيف الحراك إلى حراك صاعد وحراك هابط. (الضبع، ١٩٩٥، ص٨٦).

بالنظر إلى التعريفات المتعددة التي قدمت لمفهوم الحراك الاجتماعي، فإن القاسم المشترك بينها هو نسبية هذا المفهوم وديناميةتحرك الأفراد من خلاله عبر الطبقات الاجتماعية، فالحراك الاجتماعي آلية مناسبة لفهم قضايا التغير الاجتماعي، وخاصة فيما يتعلق بالتغير الاجتماعي في أنساق التدرج الطبقي الذي يشغل الأفراد والجماعات داخلها مراكز محددة على سلم متدرج وتتاح لهم إمكانية تغيير هذا المركز. وقد تكون إمكانية هذا التغير كبيرة كما في الأنساق المفتوحة، وقد تكون محدودة بشدة كما في الأنساق المغلقة. (سميث، ٢٠٠٩: ٢٦٤)، أو كما هو شائع بين الشرائح الأدنى في السلم الاجتماعي، ولكن هذه المحدودية لا تنفي عدم حدوثها، فالفرد المولود في أدنى طبقات المجتمع ليس محكومًا عليه بأن يعيش حياة تتسم بالعجز وانخفاض الدخل، فقد سبق أن ذهب أصحاب الاتجاهات الماركسية في نظرتهم إلى قضية الحراك الاجتماعي منذ عهد بعيد إلى أن الطبقة الحاكمة سوف تجند أقدر أعضاء الطبقات الدنيا في صفوفها ؛ لتمنعهم من أن يتحولوا إلى قوى فعالة في المجتمع (إدجار، جويك، ٢٠١٤: ٢٧٦).

وهو ما يعكس ضمنيًا ما لهذه الطبقة من قدرة وفاعلية وديناميةعلى إحداث تغيير في وضعها الطبقي بل وفي المجتمع بأكمله. الأمر الذي دفع "رالف تيند" إلى أن يميز بين كل من الحراك الميسر، والحراك بالنضال Sponsored and Contest Mobility،ويرتبط الحراك الميسر بجماعة الصفوة أو ممثليها، وفي ضوئه يتم اختيار

المرشحين للحراك من هذه الجماعة للصعود السريع والميسر بمساعدة جماعتهم، في حين يرتبط الحراك بالنضال بالجماعات الأدنى طبقيًا، ويتاح لهم من خلاله تغيير أوضاعهم الطبقية داخل إطار أساسي من القواعد والسياسات والطرق والآليات التي يستطيعون انتهاجها من أجل الحصول على المكانة العالية مؤكدًا على أن المؤهلات التعليمية تُعد من أهم هذه الآليات. (سكوت، مارشال،مرجع سابق :٢٧).

- **مفهوم الحراك الاجتماعي إجرائيًا**

هو العملية التي تدل على الدينامية والتغير في الوضع الاجتماعي الاقتصادي لأفراد شريحة الفقراء ؛ ولذلك تتبنى الدراسة الأنماط التالية لعملية الحراك الاجتماعي:

- نمط الحراك النسبي: الذي يحدث بين الطبقات عبر انتقال بعض الأفراد من طبقة اجتماعية إلى أخرى.
- نمط الحراك بين الأجيال: أي الذي يحققه الفرد مقارنًا بالموقع الذي كان يحتله أبواه.
- نمط الحراك الصاعد: الذي يدل على الصعود عبر الطبقات الاجتماعية.
- نمط الحراك بالنضال: ويعبر عن انتقال أفراد الطبقات الدنيا إلى طبقات أعلى من خلال مجموعة من الديناميات والآليات الموضوعية مثل الدخل والمهنة، والذاتية مثل الرغبة في التغيير والطموح والإنجاز، ورؤية الأفراد لذواتهم ولغيرهم.

٢- مفهوم الفقر: Poverty

يُعرف الفقر بأنه تلك الحالة التي تنشأ عن عدم كفاية دخل الأفراد لتوفير متطلباتهم من الحاجات الأساسية، وفي هذا الإطار استخدم الدخل كأحد المحددات الرئيسية لرفاهية الأفراد، فقد استخدم "تشارلز بوث" في دراسته التي جاءت في سبعة عشر مجلدًا بعنوان: حياة وعمل سكان لندن (١٨٨٩ – ١٩٠٣) الدخل كمقياس أو مؤشر للفقر، ويرجع إليه الفضل في ابتكار مفهوم خط الفقر، ويقصد به المستوى الذي يعجز الواقعون تحته عن توفير ضرورات المعيشة (المرجع السابق:٥٢٣). ويعتبر

هذا المستوى من الدخل أو الإنفاق هو الحد الفاصل بين الفقراء وغير الفقراء (مكافحة الفقر، ٢٠٠٦، ص ١٩). وفي ستينات القرن العشرين أعيد اكتشاف الفقر من جديد، وذهب بعض الباحثين مثل "بريان آبل سميث، وبيتر تاونسند " إلى أن مثل هذه المقاييس التي استخدمها "بوث" لم يتم تطويرها على النحو اللازم، بحيث لا تستطيع أن تأخذ في اعتبارها التغيرات التي طرأت على القوة الشرائية للدخول عبر الزمن، وأكدوا على أنه من الأنسب أن يتم تعريف الفقر على أساس نسبي وليس أساسًا مطلقًا (المرجع السابق:٥٢٣).

ثم اتجهت الدراسات إلى التمييز في تعريفها للفقر بين تعريف الفقر المطلق الذي يقاس على أساس الحاجات البشرية، ويتم قياسه باستخدام مجموعة من المؤشرات الموضوعية مثل دخل الأسرة وحجم الإنفاق ومعدل الاستهلاك، وتعريف الفقر النسبي ؛أي الفقر وفقًا للمفاهيم المستخدمة عند جماعة من الناس ويتم قياسه وتحديده في ضوء الرؤية الذاتية للأفراد.كما ميزت الدراسات أيضًا بين تعريف الفقر طويل الأمد الذي يستمر لفترات طويلة في حياة الأفراد، والفقر قصير الأمد الذي يتم تحديده في ضوء رؤية دينامية تقر بأن الفقر ليس ظاهرة ثابتة فوضع الأفراد الاقتصادي والاجتماعي دائم التغير من وقت إلى آخر، ويعد الانتقال عبر الطبقات الاجتماعية من أهم المؤشرات الدالة على مفهوم الفقر قصير الأمد.

(Poverty And Its Measurement, 2021, p.,5).

ويقدم برنامج الأمم المتحدة الإنمائي مفهومًا أكثر اتساعًا للفقر، حيث اشتمل ذلك المفهوم على كل من الحد الأدنى من الدخل والاستهلاك، بالإضافة إلى بعض المقاييس التي تعبر عن التنمية البشرية ممثلة في مستويات التعليم والصحة، والحالة الغذائية،وبعض المعايير الأخرى مثل: الأمن والأمان، وشبكات الضمان الاجتماعي، وقد أشارت بعض الدراسات إلى أن أهم الخصائص الإجرائية المميزة للفئات الفقيرة هى: انخفاض مستويات الدخول، وعدم الاستقرار الوظيفي، وانتشار أمراض سوء التغذية، وانخفاض مستوى التعليم،وتدني جودة المسكن،وتدني الشعور باحترام الذات (كمال، ٢٠٠٧ :٦٨٠).

- **مفهوم الفقر إجرائيًا**

في ضوء ما سبق تتبنى الدراسة مفهوم الفقر النسبي، ومفهوم الفقر قصير الأمد اللذين يحملان ضمنيًا رؤية دينامية للفقر، فهو ليس ظاهرة ثابتة، ويعد الحراك الاجتماعي والتنقل الطبقي أهم المؤشرات الدالة عليهما، كما تتبنى مفهوم "الفقراء الفاعلون" الذين تمكنوا من تحقيق حراك اجتماعي بين الأجيال مقارنة بمواقع أسرهم الطبقية، فرغم ما عانوه في مراحل حياتهم الأولى من الفقر بكافة مؤشراته الموضوعية والذاتية، فإنهم عاشوا في كفاح ونضال مستمر ؛ لمواجهة صور الحرمان الاجتماعي منتهزين كافة الفرص للإفلات الطبقي، وذلك من أجل الكشف عن الآليات التي ينتهجها الفقراء للحراك الاجتماعي الصاعد.

٧- **مفهوم الزحف الهادىء:Quiet Encroachment**

ساد في الأدبيات تناول مفهوم الزحف الهادئ باعتباره عملية تصف التقدم أو الزحف البطيء المثابر من أجل البقاء ومن أجل تحسين الحياة. لكن حين ارتبط هذا المفهوم بشريحة الفقراء عبر عن آليات زحفهم بطرق غير قانونية من أجل إعادة توزيع الخدمات الاجتماعية (بيات، ٢٠١٤: ١٠٩). لكن الدراسة تتبنى هذا المفهوم بوصفه شكل من أشكال الحراك الاجتماعي الهاديء طويل المدى، متمثلاً في صور من النضال المفتوح والعابر دون وجود قيادة واضحة أو تنظيم بنائي يعبر عن أن الفاعلين يحاولون توسيع الحيز الذي تحت أيديهم عن طريق كسب مواقع جديدة ؛ للتحرك فيها عبر قنوات حركية مشروعة و قانونية مثل التعليم و الهجرة و الزواج وتغيير المهنة.

سادسًا: المدخل النظري للدراسة

١- **نظرية الزحف الهاديء Quiet Encroachment Approach**

لايزال بعض المراقبين المنطلقين من النموذج الوظيفي ينظرون إلى فقراء الحضر باعتبارهم عقبة في مسيرة الحياة، وأنهم مشبعون بمشاعر الأنومي، كما ينظر الكثيرون إلى الفقراء على أنهم جماعة اجتماعية سلبية تناضل ببساطة من أجل سد

حاجاتها، ولقد أضفت نظرية أوسكار لويس عن ثقافة الفقر– التي بنيت على دراسة إنثوجرافية في بوريتريكو والمكسيك – الشرعية العلمية على هذه الفكرة،حيث ألقت هذه النظرية الضوء على بعض الخصائص السيكولوجية والثقافية كمكونات لثقافة الفقر مثل القدرية، والتقليدية، واللا انتمائية وعدم القدرة على التكيف والاستعداد الإجرامي، وفقدان الطموح واليأس وغير ذلك، وبهذا يكون لويس قد وسع فكرة الفقراء السلبيين، فمع التركيز الضمني على تحديد هوية الإنسان الفقير الهامشي كنمط ثقافي، فإن نظرية ثقافة الفقر تظل مدخلاً سائدًا لسنوات عديدة تقدم زادًا للخطاب المناهض للفقر والسياسات المناهضة للفقر في الولايات المتحدة بجانب تشكيل إدراك النخب في العالم الثالث (المرجع سابق :١٠٤).

على الرغم من تعاطف "لويس" مع الفقراء، فإن الضعف النظري لمفهوم ثقافة الفقر قد طفا إلى السطح بسرعة، فقد أضفى لويس على ثقافة الفقر طابع الأصالة أو الجوهرية ما دام مفهومه عن ثقافة الفقر كان نمطًا واحدًا فحسب من كثير من الأنماط الثقافية؛ حيث أغفل التعميم عنده الطرائق المختلفة التي يتعامل بها الفقراء في الثقافات المختلفة مع فقرهم (المرجع السابق :١٠٥).

كما وقع " لويس " في تناقض مع ذاته حين أقر بأن الفقراء قادرون على إحداث بعض التغيرات في المجتمع عن طريق إعادة توزيع الثروة،أو إعادة تنظيمهم من قبل الدولة بما يعطيهم الشعور بالانتماء والقوة،وقد تنجح مثل هذه المحاولات في إلغاء بعض خصائص ثقافة الفقر التي أقر بحتميتها مسبقًا، ولكنها لم تنجح في علاج الفقر نفسه (Lewis, 1966, p. 2)، ولقد اتهم "لويس" من قبل نقاد من أمثال "وبرسلي" بأنه باحث ينتمي إلى الطبقة الوسطى ممن يلومون الفقراء على فقرهم وسلبيتهم، ومن الأمور المثيرة أن نجد أن التصور النظري الذي قدمه "لويس" يشترك في كثير من الخصائص مع تلك التي ظهرت على أيدي علماء الاجتماع الحضريين من مدرسة شيكاغو أمثال "ستونكويست، وروبرت بارك"،أو حتى مفكرين من جيل أسبق أمثال "زمل" (بيات، مرجع سابق، ١٠٥).

لقد أدى النقد القوي الذي قدمه "جانيس بيرلمان " _ وأسماه أسطورة الهامشية – جنبًا إلى جنب مع الإسهامات النظرية التي قدمها "مانويل كاستلز" التي تدعو إلى النسبية الاجتماعية والدينامية المكانية في حياة الفقراء (Miller, 2006, p. 207) فالقيم الثقافية فيما بينهم نسبية وتختلف من جماعة إلى أخرى (Gorski,2008, p.2) إلى التقليل من شأن هذه النظرة للفقراء في العالم الأكاديمي وكذلك في العالم الرسمي، فقد أوضحا أن خرافة الهامشيين هى أداة لضبط الفقراء،وأن الفقراء المهمشين هم نتاج أبنية اجتماعية رأسمالية، وأن أساس هذه النظرية هو أساس أيديولوجي ناتج عن خوف الطبقات الوسطى البرازيلية من قوة ونشاطية الأحياء الفقيرة (Perlman,OP.Cit, p. 341).

فإذا كان مفهوم الهامشية ارتبط في الأدبيات الاجتماعية بسمات عدم التنظيم والعزلة عن الحياة المحيطة، فإنه يمكن الكشف عن العديد من الشخصيات الفعالة التي تحاول تغيير نوعية حياتها باستبدال القيم الاجتماعية والسمات التي تدعو إلى الفقر والتقوقع حول الذات بقيم اجتماعية أخرى تدعو إلى الارتقاء بالذات وبالوضع الاقتصادي الاجتماعي،فجانيس بيرلمان في وصفه لحياة أبناء مجتمع الفافيلا الهامشي رأى أنها **اجتماعيًا** تتميز بالاتحادات الفعالة والتنظيمات الاجتماعية،وتتسم العلاقات في الأسرة والجيرة بالقوة والثقة والتعاون ولا توجد عزلة عن السياق الحضري، كما أنهم يتصلون بالأفكار الجديدة ويتعرفون على قيم وأساليب حياة الطبقة الوسطى من خلال وسائل الاتصال، **وثقافيًا** وجد أن هناك تقبلاً للتجديد والعلم والتكنولوجيا، **واقتصاديًا** لاحظ أنهم ليسوا طفيليين فبعضهم يعمل في القطاع الخدمي، و يساهمون في الاستهلاك، فهم يؤمنون بفاعلية العمل الجاد والسعي لخلق نوعية حياة مختلفة عن طريق الحراك الاجتماعي، ومتابعة الصعود عبر الطبقات الاجتماعية، أما **سياسيًا** فلديهم درجة من الوعي السياسي، ويتميز قادتهم المحليون بدرجة أعلى من المعرفة السياسية(Perlman, bid., p. 341) ، وهذا يعني أن ملامح الهامشية نسبية فهي لا تنطبق على جميع الفقراء ؛إذ إن هناك تمايزات داخلية عديدة، وبالتالي يكون من التضليل تعميمها على سلوكيات الفقراء واتجاهاتهم، وهذا إن دل على شيء يدل على

ضرورة توفر رغبة كامنة لدى الأفراد أنفسهم من أجل التغيير؛ ومحاولة منهم للخروج من مصيدة الفقر، ودائرة الحرمان التي تحاصرهم، ومن هنا بدأ يظهر نموذج استراتيجية البقاء الذي يتقدم خطوة نحو القول بأنه على الرغم من أن الفقراء يتسمون بالضعف، فإنهم لا يجلسون منتظرين القدر ؛ ليحدد لهم حياتهم. فهم نشطاء على طريقتهم الخاصة لتأكيد وجودهم واستبقاء حياتهم، وبينما يبدو أن اللجوء إلى ميكانيزمات التكيف في الحياة الواقعية منتشرًا على نطاق واسع بين الفقراء في ثقافات كثيرة، فإن التركيز على استراتيجية التكيف كما لاحظ "إسكوبار" يمكن أن يساهم في الحفاظ على صورة الفقراء باعتبارهم ضحايا، وعدم قدرتهم على الفعل، والحقيقة أن الفقراء يمكن أيضًا أن يقاوموا ويحققوا مظاهر للتقدم في حياتهم عندما تسنح الفرصة، وأكثر من هذا فإن الشواهد من أجزاء كثيرة من العالم توضح أن كثيرين منهم يخلقون فرصًا لتقدمهم. بمفهوم" كاستلز"، أو تحرر اجتماعي بمفهوم "شورمان" أو بإقامة بديل عن طغيان الحداثة بعبارة "جون فردمان"، فالفقراء يسعون في أنشطة حياتهم اليومية إلى النضال من أجل الاستبقاء. هذه المحاولات تتجاوز بشكل جذري الآراء المتعلقة بثقافة الفقر، وباستراتيجيات البقاء مانحة بذلك القدرة على الفعل للفقراء. وهو ما أوضحه "ليدز" حين أقر بأن الجماهير الغفيرة من الفقراء تتاح لها فرصة أكبر في الفعل الجمعي في مناطق دون الأخرى كما هو الحال في بيرو مقارنة بالبرازيل، حيث تجبر الكوابح القوية الفقراء على البحث عن تحسين حياتهم عبر قنوات أبوية وفردية تتصل بالتفضيلات وتبادل المصالح، أما في شيلي فإن الفقراء قد نظموا أنفسهم بطرائق أكثر كثافة وشكلوا حلقات من الانفتاح السياسي والممارسات والمقاومات اليومية (بيات،مرجع سابق :١٠٨) . وأن الإبقاء على النماذج النظرية التي تدعو لثقافة ما هي إلا محاولات لخدمة النظام الرأسمالي والنخب والرأسمالية (Donahue.op.cit., p. 807). مما دفع "جيمس سكوت" إلى دراسة سلوك الفلاحين في آسيا، وكيف أنهم ينخرطون في أشكال من المقاومة اليومية التي تعبر عن شكل من أشكال الفعل والتحدي الهاديء (Gutmann, 2021, p.2)، أو القوة الخفية الأمر الذي ساهم في تحقيق نوع من التحول في النموذج النظري، وفي نفس الوقت فإن فكرة "ميشيل

فوكو" حول القوة والتي تقوم على عدم المركزية أكدت على أنه توجد مقاومة حيثما توجد القوة (Gaventa,2021) . على الرغم من أن المقاومة تتكون في الغالب من أنشطة صغيرة محدودة النطاق تظهر في الحياة اليومية، ويكون بمقدورهم فعلها لكى يتعاملوا مع كافة الكوابح الاجتماعية، وأن تجاهل مثل هذه الممارسات يُعد تجاهل لأكثر الديناميات الحيوية التي تتمكن من خلالها الطبقات الدنيا تحقيق مصالحها (Scott, p. 89).

إن هذا الفهم للمقاومة قد ظهر ليس فقط في دراسات الفلاحين، ولكنه ظهر أيضًا في ميادين عديدة من بينها دراسات فقراء ومهمشي الحضر.

مما لاشك فيه فإن مثل هذه المحاولة تؤكد على الفعل من جانب فاعلين كانوا يوصفون من قبل بأوصاف مثل: الفقراء السلبيون كما أنها تخبرنا بأننا لا يجب أن نتوقع شكلاً عالميًا من النضال الاجتماعي، وأن التعميم الكلي الشاملي غالبًا ما يطمس التنويعات في إدراكات الناس حول التغير والجوانب الدينامية في الحياة الاجتماعية، وإن علينا أن ندرك أوجه النضال الاجتماعي للفرد في حالة عدم إمكانية الفعل الجمعي المنظم،ومن هنا ميز "ناثان بروا" بين أشكال الممارسة في ثلاثة أشكال هي:

- الممارسة الفردية.
- الممارسة الجماعية.
- الممارسة الثورية الكلية.

كما أن تراث المقاومة يتأسس على فكرة القوة التي مؤداها أن القوة توجد في كل مكان، وأنها تتداول ولا تتركز في أيدي أحد بحال إن مثل هذه الصياغة مفيدة في تجاوز أسطورة ضعف الفقراء وقلة حيلتهم، والاعتراف بفعلهم أو قدرتهم على الفعل. فهم ينظمون أنفسهم ويشتركون وينتهجون ممارسات نضالية طوال الوقت،وتقدم لنا فكرة "جون فردمان" حول التمكين نبراسًا لهذا الميل لدى الفقراء على خلق الفرصة، فهي تصف سعي الفقراء إلى تنظيم أنفسهم من أجل البقاء الجمعي عبر مؤسسة الأسرة بوصفها عنصرًا مركزيًا لإنتاج الحياة، وتبني مبدأ الاقتصاد الأخلاقي (الثقة والتبادلية

والتطـوع)، واسـتخدامهم لقـوتهم الاجتماعيـة: (أوقـات الفـراغ والمهـارات الاجتماعيـة، والتشبيك والروابط، وأدوات الإنتاج) (بيات،مرجع سابق : ١١٥).

لقد فتح نقاد النماذج النظرية حول ثقافة الفقر والفقراء السلبيين الأفق؛لتطوير نظرة ظهر فيها المهمشون الحضريون فاعلين في أكثر من مجال من مجالات الحياة. لقد أصر "برلمان وكاستلز" وباحثون آخرون من أمريكا اللاتينية على أن: الفقراء ليسوا هامشيين بل إنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع الحضري، وبالتالي فقد ذهبوا إلى القول بأن الفقراء قد عانوا من حالة تهميش لكونهم يعانون من الاستغلال الاقتصادي، والاضطهاد السياسي، والوصم الاجتماعي، والاستبعاد من نسق اجتماعي مغلق. فالفقراء يشاركون، ليس فقط في الممارسات السياسية الحزبية والانتخابات والأنشطة الاقتصادية الرئيسية، ولكنهم يشاركون أيضًا في كافة نواحي الحياة الاجتماعية، وبذلك فإن الروابط التي يقيمونها في المجتمع المحلي والتنظيمات التي تخدم المستهلكين، ومشروعات المطابخ التي تزود الفقراء بالطعام وجماعات الدعم لسكان المناطق العشوائية والأنشطة الكنسية والجمعيات الأهلية، وغير ذلك من الأنشطة التي تفهم جميعًا أنها تكشف عن وجود حركات منظمة لها حدود معروفة وديناميات محددة يقوم بها الفقراء الذين يسعون إلى تحول وتغير اجتماعي،وإيمانًا بنشاطية الفقراء وقدرتهم على ممارسة الفعل ؛حيث إنهم لا يناضلون فقط من أجل البقاء، ولكنهم ينخرطون في عملية تستمر عبر امتداد حياتهم؛ لتحسين نصيبهم من الدنيا عبر الزحف الفردي والهادىء تتبني الدراسة مدخل الزحف الهادئ Quiet Encroachment الذي يشير إلى كافة الأفعال والديناميات غير الجمعية المباشرة، والتي تتسم بالنفس الطويل لأفراد وأسر متفرقين لتحسين نصيبهم من الحياة عن طريق الحراك الهادىء وبطرق قانونية،وهو استراتيجية تمكينية للجماعات الفقيرة يتبعونها ؛لإحداث تغيير في حياتهم الخاصة، مفادها أن هؤلاء الأفراد قادرون على مساعدة أنفسهم والتوسع في شبكاتهم الاجتماعية بطريقة تكشف قدرتهم على النضال الاجتماعي من أجل تغيير نوعية الحياة. (المرجع السابق :١١٩).

٢- نظرية الممارسة عند بورديو

يسعى "بورديو" إلى فهم الحياة الاجتماعية من خلال تعريفات متوازنة، تضع في اعتبارها البنى الثقافية والاجتماعية الموضوعية جنبًا إلى جنب مع الممارسات والخبرات التي تنشأ عن الأفراد والجماعات، فالفرد والمجتمع لابد من أن يشملهما تعريف واحد؛ لأن كل صور الوجود والفعل لا تتحقق إلا من خلال مؤسسات المجتمع مهما كانت درجة بدائيته، كما أن المجتمع لا يمكن تفريغه من الذوات الفاعلة وإلا كان سكنًا لأشباح " فالكائنات البشرية تضفي معنى على العالم الذي تصنعه... ومهمة السوسيولوجيا كشف أعمق البنيات الدفينة لمختلف العوالم الاجتماعية... وكذلك الآليات التي تضمن إعادة إنتاج هذه العوالم، أو تعمل على تغييرها".

تكتسب نظرية الممارسة الاجتماعية أهميتها في العلوم الاجتماعية والإنسانية، بسبب قدرتها التفسيرية والملائمة لكشف طبيعة الظواهر الاجتماعية والإنسانية المختلفة، فعن طريقها يمكن تفسير التباينات الاجتماعية والثقافية في آن واحد. ولقد حاول "بورديو " في نظرية الممارسة أن يقدم حلاً للفجوة بين النظرة الذاتية للعالم الاجتماعي، والنظرة الموضوعية، وانتهى إلى أن العلاقة بين الذاتي والموضوعي علاقة جدلية متداخلة ومتشابكة ومعقدة، وعالم الاجتماع عليه أن يكشف عن طبيعة هذه العلاقة، وكيف تتولد الممارسة تحت تأثير هذه العلاقة ؟ وقد حاول "بورديو" توضيح كيف تتمثل الذات الفاعلة الشروط الموضوعية – البنيوية فأنتج مصطلح الهابيتوس Habitus وكيف تؤثر هذه الذات في تلك الشروط، فأنتج مصطلح المجال Field بحيث تصبح الممارسة "محصلة العلاقة الجدلية بين الهابيتوس والمجال، أو هي ناتج تفاعل الهابتيوس والمجال" (موسى، ٢٠٠٩: ٩).

الممارسة الاجتماعية عند "بورديو" ليست مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنها فعل موجه من الماضي المختزن، فهي محصلة خبرات مكتسبة أو موروثة تتضافر لتقييم الواقع، وتحديد طبيعة الفعل الملائم في لحظة ما لحظة الممارسة، فإن المقصود هو كل ما يدخله الفاعل في مسرح الفعل كل ما يدين به لمجمل التجارب التي عاشها والتي تبلورت فيه على شكل قدرات واستعدادات للفعل

(لابير، ٢٠١٥: ٢٢). فالممارسة نشاط إنساني يقوم به فاعل يمتلك قدرة على صنع الاختلاف، ولكنها ليست قدرة ذات متعالية، وإنما قدرة فاعل نشط مكافح ؛ ولذلك فإن الفاعل عند "بورديو" هو شخص محمل بخبرات متراكمة، رأس مال نوعي، يكتسبه خلال عملية التنشئة والتعليم، ويولد لديه مجموعة من الاستعدادات تمكنه من ممارسة الأفعال المختلفة في إطار بنية محددة. ولكي يستطيع بورديو عبور الفجوة بين هذا الشخص والبنية التي تضمه، أو بمعنى آخر ؛ لكي يكتشف كُنِّه العلاقة الجدلية بينهما أو التفاعلات القائمة، قام بتفكيك البناء الاجتماعي إلى مجموعة من المجالات: كالمجال السياسي، والاجتماعي، والثقافي، والديني، والفني، وكل مجال من هذه المجالات يحتاج إلى رأسمال نوعي مختلف، والمتفاعلون داخل المجال يمتلكون بالضرورة استعدادات متفاوتة بتفاوت الرأسمال النوعي الذي يمتلكونه، وبالتالي فإن علاقات القوة داخل المجال، التي تحدّد حيازة المكانة داخله ترتبط بهابيتوس الأفراد. وما أضافه "بورديو"، هنا: هو جعل العلاقة الجدلية بين الاستعدادات الذاتية والشروط البنائية، ممكنة التصور والتحقق على أرض الواقع، فالفرد يتعامل مع مجالات، ولا يتعامل مع بناء اجتماعي كلي، وتتحدد قدرة الأفراد – الأشخاص – على حيازة المكانة داخل هذه المجالات المتنوّعة بمجموعة الخبرات والاستعدادات التي يحملها هابيتوس هؤلاء الأفراد. (موسى، مرجع سابق: ١٢).

قد استخدم "بورديو" أدوات تفسيرية لفهم الممارسة الاجتماعية

أ- الهابيتوس (Habitus):

يظهر من سيرة "بورديو"، وتطور مشروعه العلمي، إنه كان منشغلاً بقضية اللامساواة التي عاينها وعايشها في المغرب العربي، وفي الريف والحاضرة الفرنسية – وأراد أن يفهم أولا: كيف يمارس الفرد حياته من المهد إلى اللحد، وهو مكبّل بالشروط البنائية المختلفة؟ وثانيًا: ينطلق من هذا الفهم إلى هدفه النهائي، وهو تأسيس مخطط للممارسة التوليدية، والانعكاسية. للتغلّب على صور اللامساواة التي تفرضها النخبة السياسية والاقتصادية على الأفراد والجماعات في المجتمع. وعليه، فإن بورديو حين قام بنحت مفهوم الهابيتوس، كان يحاول الكشف عن المعوقات التي تَحُولُ دون

الممارسة التوليدية القوية اللازمة للتغيير، ويحاول وضع الشروط اللازمة للتغلّب على هذه المعوقات.

يعرّف "بورديو" الهابيتوس بأنه: "مبدأ مولد للاستراتيجية يمكّن الفاعلين من التوافق مع المواقف غير المتوقعة والدائمة التغير، نسق من الاستعدادات الدائمة – القابلة للتطور والتحول – يعمل كل لحظة – بشكل لا إرادي غالبًا – بدمجه للخبرات السابقة كمصفوفة من الإدراكات والتقييمات، ويتيح إنجاز مهام لا نهائية التنوّع، وهو عبارة عن بناء ذهني ومعرفي يمكّن الأفراد من التعامل مع العالم الاجتماعي، وهو منتج تاريخي يتشكّل خلال التنشئة الاجتماعية وبواسطة التعليم، فعبر التنشئة والتعليم يتكون لدى الفرد رأسمال نوعي مخزون يستخدمه بشكل لا إرادي أثناء الممارسات المختلفة، ويختلف مفهوم الهابيتوس عن مفهوم العادة، على رغم تضمّن العادة فيه، حيث إن الأخيرة توصف بالتكرارية والميكانيكية، وهي ذات طابع يعيد الإنتاج فقط، بينما الهابيتوس يحمل في ذاته – بحكم طريقة تشكله التاريخي – "طاقة توليدية قوية قادرة على إعادة التشكيل". (المرجع السابق :١٢).

والفرد القادر على التجديد والتشكيل في نظرية "بورديو" شخص يملك نسقًا من الاستعدادات ويكافح به في الحياة ؛ لصياغة و صنع المستقبل. فالاستعداد عبارة عن الميل أو الاتجاه إلى الاعتقاد أو إلى النظر أو إلى الحكم على الأشياء وإلى التصرف حيالها بشكل معين، فالاستعداد يعمل بوصفه استشرافًا عمليًا لمسار الأحداث (لابير، مرجع: ٢٢).

ب- **المجال (Field)**

المجال الواحد يعوزه فاعلون، وشبكة من العلاقات المستقلة عن إرادة هؤلاء الفاعلين، ولكل مجال موارده أو رأسماله النوعي الخاص، وهيكل من المراكز والمكانات المتدرجة هرميًا، التي تعبّر عن مستويات القوة داخل هذا المجال، وتحدد مسار الصراع بين الفاعلين الذين يحاولون استثمار الرأسمال النوعي المودع في الهابيتوس الخاص بهم في مجال ما، وذلك بغية الحصول على مكانة رفيعة، وزيادة رصيدهم من الرأسمال النوعي داخل هذا المجال (موسى،مرجع سابق:١٢).

جـ – رأس المال النوعي : ينقسم إلى:

- **رأس المال الثقافي**

بحسب تعبير "ريمون آرون" كان بورديو استثناء لقوانين رأس المال الثقافي التي صاغها في كتاباته المبكرة، منذ نشأته كابن وحفيد لمزارعين في منطقة هامشية في فرنسا إلى متربع على قمة الهرم الثقافي الفرنسي باعتباره واحد من أهم علماء الاجتماع في العالم (إبراهيم، ٢٠١١ :٥٥). ويعبر رأس المال الثقافي عنده عن الإشارة إلى الرموز والأفكار والأذواق والتفضيلات التي يمكن استعمالها على نحو استراتيجي كموارد (رأس المال) في العمل الاجتماعي فهو ينظر إلى رأس المال الثقافي بوصفه طابعًا اجتماعيًا ثقافيًا: أي بوصفه ميلاً أو نزوعًا مجسدًا للعمل، والتفكير، والشعور، بطريقة معينة (سكوت، مارشال، مرجع سابق، ١٧٢). وينتقل بطريقتين الأولى من خلال الأسرة فعن طريقها يكتسب أنماط التفكير والاستعدادات ونظم المعنى، وقيمًا محددة للسلوك"، والثانية : عن طريق نظام التعليم الذي يعتبره العائق الثقافي الأكبر؛ لأنه مسؤول عن إعادة إنتاج الأوضاع الاجتماعية القائمة. (موسى، مرجع سابق: ١٨).

- **رأس المال الاجتماعي:**

هو مجموعة الموارد الفعلية أو المحتملة المرتبطة بامتلاك شبكة دائمة من العلاقات الاجتماعية (Bourdieu, 1986, p. 241) فالفرد عضو في شبكات اجتماعية مختلفة ومتنوعة، وهذه الشبكات هي مفتاح الفوائد المادية والرمزية، ولابد له من أن يمتلك رأسمالاً اجتماعيًا يمكنه من استثمار العلاقات الاجتماعية المتنوعة لزيادة رأس المال الكلي الخاص به (موسى،مرجع سابق: ١٨).

من خلال هذا الطرح قدم "بورديو" مفهوم رأس المال الاجتماعي على نحو غائي يرتب منافع الأفراد الذين يشتركون في عضوية شبكات معينة فهي أساس التضامن، لكنه أكد أن الشبكات والجماعات والأطر المؤسسية التي يؤسسها الأفراد لا ترتب لهم الحصول على المنافع بشكل تلقائي، لكنها تتطلب جهدًا إراديًا منظمًا يبذله الأفراد أنفسهم.فهو يرى أن رأس المال الاجتماعي من خلال ما يؤسسه الأفراد من

روابط اجتماعية يسمح لهم بالحصول على موارد اقتصادية تساهم في تغيير وضعيتهم الطبقية بصورة أكبر (فوزي، ٢٠١٩، ص٢٨). فرأس المال الاجتماعي يمثل قوة تساعد على خلق وترسيخ مزايا اجتماعية للفاعلين.

- **رأس المال الرمزي**

يشير إلى درجات المكانة التي يكتسبها الفرد، ويتم التعبير عنها أو عن القوة الرمزية من خلال علامات التمييز داخل كل مجال، وتلك العلامات تعمل على إبراز وتأكيد المكانة الاجتماعية (موسى،مرجع سابق: ١٨).

- **رأس المال الاقتصادي**

يشير إلى كافة الموارد المادية التي يمتلكها الأفراد ويكتسبونها عن طريق الوراثة أو الربح، ويعد عنصرًا مهمًا في الحياة الاجتماعية من خلال تحديد الوضع الطبقي بصورة كلاسيكية محددة للأغنياء مقابل الفقراء(سيكوك، بوطقوقة، ٢٠١٣، :٢٤). ويرى بورديو أن كلاً من رأس المال الثقافي والاجتماعي والرمزي يتداخل بصورة معقدة مع رأس المال الاقتصادي بمعنى أنه دائمًا توجد مصلحة اقتصادية من داخل كل رأسمال نوعي. (موسى، مرجع سابق :١٨٠).

ومن ثم تنطلق الدراسة من سوسيولوجيا استعدادية – سياقية تهتم بجوانب العالم الاجتماعي والممارسة الاجتماعية في حياة الفقراء آخذة في اعتبارها قدرة الفرد الفاعل النشط المبدع الذي يؤدي ممارسات اجتماعية لا تتصف بالديمومة والاستمرارية، فهي متمايزة ومتنوعة ولديها القدرة على الثراء. فالاستعدادات والكفاءات التي تنتظر استنفارها موجودة بالقدر الذي توجد به الاستعدادات الضعيفة في السياقات الأضعف القابلة للتوارث. ومن ثم يكون من الخطأ تعميم الممارسة الاجتماعية لدى أفراد الشريحة الفقيرة فهى ليست واحدة، فالممارسات لا يمكن أن تكون قوتها واحدة، ولا أن تكون درجة دوامها واحدة،ولا قدرتها على الانتقال من سياق إلى آخر واحدة. (لايير، مرجع سابق: ٣٣).

ولأن آراء بورديو ارتكزت على مفهوم المعرفة والوعي والإدراك، واتفاقًا مع بليز باسكال فإن بورديو رصد الهدف النهائي للسلوك الواعي وهو تحقيق العدالة الاجتماعية

والكرامة فإن محددات الفعل الطبقي لاريك رايت تكون ذات أهمية في فهم الأوضاع الطبقية للفقراء وعلاقتها بوعيهم وقدرتهم على الفعل الدينامي ومن ثم الحراك الاجتماعي.

٣- محددات الفعل الطبقي و الأوضاع الطبقية للفقراء

- **المصالح الطبقية**

هى المصالح المادية للأفراد والمستمدة من موقعهم داخل العلاقات الطبقية. تشتمل هذه المصالح المادية على مجموعة من الأمور كمستويات المعيشة، وأوضاع العمل، ومستوى العناء، والأمن المادي. إن وصف المصالح التي ينشغل بها الأفراد فيما يتعلق بتلك الأمور المذكورة باعتبارها مصالح طبقية يعني القول بأن ما يواجهه الأفراد في سعيهم لتحقيق هذه المصالح من فرص ومقايضات إنما تشكلها مواقعهم الطبقية؛ لذلك فإن بيانًا مستفيضًا بهذه المصالح يزودنا بهمزة وصل فكرية شديدة الأهمية تصل بين الوصف التفصيلي للعلاقات الطبقية من جهة وتصرفات الأفراد من جهة أخرى.

- **الوعي الطبقي**

ما يتوفر للأفراد من إدراك شخصي لمصالح طبقتهم وللظروف المتعلقة بتحقق الترقي والتقدم لهم.

- **الممارسات الطبقية**

هى الأنشطة التي ينخرط فيه الأفراد سواء بوصفهم أشخاص منفصلين عن بعضهم أو بوصفهم أعضاء في كيانات جمعية في سعيهم ؛ لتحقيق مصالحهم الطبقية.

- **التشكيلات الطبقية**

هى الكيانات الجمعية التي يشكلها الأفراد من أجل تيسير السعي ؛ لتحقيق مصالح طبقية وتتراوح هذه التشكيلات في ترابطها الداخلي ما بين المنظمات ذات المستوى العالي كالنقابات والأشكال الأكثر تحررًا من الكيانات الجمعية كالشبكة الاجتماعية والمجتمعات المحلية الصغيرة النطاق.

- **الصراع الطبقي**

هى الصراعات التي تنشب بين ما يزاوله الأفراد والكيانات الجمعية من ممارسات في سعيهم؛ لتحقيق المصالح الطبقية المتضادة وتتراوح هذه الصراعات في نطاقاتها ومستوياتها بين الاستراتيجيات الفردية والجماعية (رايت، ٢٠١٨:47).

بالنظر إلى السمات والخصائص الاجتماعية للفقراء، ومحددات الفعل الطبقي، وما تتضمنه من قضايا طبقية مهمة وثيقة الصلة بتصرفات وسلوكيات الأفراد في إطار تشكلاتهم الطبقية، يتضح السبيل لفهم واستيعاب ديناميات الحراك الاجتماعي والطبقي لديهم، وذلك في حال معرفة كافة المصالح المادية التي يسعون بجهد حثيث إلى تحقيقها، وإدراكهم ووعيهم بالعوامل الذاتية والموضوعية التي تمكن من ذلك وأيضًا فهم كافة الممارسات والأنشطة والتشكلات والعلاقات الاجتماعية التي ينخرطون فيها في ضوء رؤيتهم لذواتهم ورؤيتهم للآخر.

سابعًا: الدراسات السابقة

تنقسم الدراسات السابقة في ضوء متغيرات الدراسة إلى ثلاثة محاور :

- **المحور الأول: قياس الحراك الاجتماعي:**

أوضحت الدراسات السابقة تعددية الأساليب والطرق التي يمكن من خلالها قياس الحراك الاجتماعي، مؤكدة على أن هذه التعددية نتجت عن تعقد العلاقات وتشابكها بين مؤشرات الحراك الاجتماعي المختلفة.

فقد تناولت دراسة "واقع الحراك الاجتماعي في المجتمع الكوري: أهم هذه الطرق والأساليب حين أقرت بأن قياس الحراك الاجتماعي يتم عن طريق مقارنة الوضع الاجتماعي للأبناء بأوضاع آبائهم وأجدادهم، ويطلق على هذا النوع القياس بين الأجيال، وقد يقاس الحراك أيضا بالنسبة للفرد الواحد خلال مختلف الفترات التي يعيشها مع كل جيل، ويطلق عليه القياس داخل الجيل الواحد (حسيب، ٢٠١٣: ٢٨). ويعقد المهتمون بقياس الحراك الاجتماعي هذه المقارنات عن طريق مجموعة من المؤشرات يمكن التحكم فيها مثل "التعليم والمهنة والدخل المتوقع (Clark, Emanuela, 2005, p.) وهو ما أطلقت عليه الدراسات أسلوب القياس الموضوعي

مثل دراسة "الحراك الاجتماعي وعلاقته بالتربية"، ودراسة "الحراك الاجتماعي وعلاقته بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في الجزائر" ودراسة La Ferrara " "2005، ومن أشهر من وضع مقياس موضوعي للحراك الاجتماعي عالم الاجتماع "لويد وارنر" والذي تكون من ستة مؤشرات أساسية هي:

الثروة، والدخل والمهنة، والتعليم، ونوع السكن، ومصدر الدخل. وهناك ميل لدى بعض دارسي الحراك الاجتماعي إلى اعتبار المهنة وحدها دليلاً كافيًا للمستوى الاجتماعي والاقتصادي ومحكًا رئيسيًا للحراك الاجتماعي (الموسى، مرجع سابق:١٠).

لكن ما حدده "جيدنيز" في تعريفه للحراك الاجتماعي باعتباره عملية دينامية لا تقتصر على تباين المواقع الاقتصادية أو المهنية التي يشغلها الأفراد فحسب بل تتطرق أيضًا إلى ما يمكن أن يحدث لهم في سياق تفاعلهم المستمر مع البنية الاجتماعية أوضح محدودية الأسلوب الموضوعي بمفرده وقصوره في فهم ودراسة وقياس الحراك الاجتماعي (ابتسام، محمد، ٢٠٢١: ٣٣٧).

من هنا نادت الدراسات بأهمية أسلوب القياس الذاتي الذي يعتمد في قياسه للحراك الاجتماعي على تقدير المبحوث ذاته وتقييمه لمكانته الاجتماعية وانتمائه الطبقي فالوعي بالمكانة الاجتماعية والانتماء الطبقي كما تناولت دراسة "الحراك الاجتماعي في مصر" محاولة للفهم: أحد المؤشرات الهامة في دراسة موضوع الحراك الاجتماعي وقياسه (قنديل، ٢٠١٩: ٢٧).

المحور الثاني : آليات الحراك الاجتماعي

يعتمد الحراك الاجتماعي على عدد من العوامل والآليات التي تساعد على مرونته داخل المجتمعات مثل التعليم والهجرة والمهنة والدخل والتحولات السياسية والاقتصادية، وقد سعت الأدبيات المهتمة بقضية الحراك الاجتماعي إلى رصد أهم هذه الآليات :

١- التعليم

ظهر التعليم في الدراسات السابقة كقناة أساسية من قنوات الحراك الاجتماعي الفاعلة والمؤثرة في الوقت الحاضر، ويعد أساسًا من أسس الصعود الاجتماعي الطبقي

داخل المجتمع؛ فيؤثر المستوى التعليمي بصورة كبيرة في درجة الوعي بأهمية الأفكار المستحدثة كما له تأثير مباشر على تبني المبتكرات، كما ظهر أيضًا كآلية مهمة في تحقيق الوعي الاجتماعي والثقافي لشرائح المجتمع كافة، هذا فضلاً عما يحققه التعليم للفرد من مزايا اقتصادية تأتي على رأسها المهنة التي يمتهنها ومزايا ثقافية تتمثل في نمط رأس المال الثقافي الذي يميزه عن غيره.

فالعلاقة بين التعليم والحراك الاجتماعي علاقة معقدة ولها وجوه عديدة كما بينت دراسة "الأبعاد الاجتماعية للحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي"، وأشارت إلى ضرورة بحث هذه العلاقة على خلفية الوعي بأهمية العوامل الأخرى الفاعلة في هذه العلاقة، والتي تتلخص فيما أوضحه (Nunn) وزملاؤه في العوامل التالية:

رأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي، وخبرات الطفولة، وفرصة العمل، ومستوى الصحة والرفاه الاجتماعي، والتأثيرات البيئية المباشرة (عبيد، ٢٠١٦: ٦). فالتعليم يساهم بدوره التحريري الذي يتولى إعداد البشر الذين يغيرون المجتمع التقليدي ويشكل رأس المال الثقافي للمجتمع عبر من يمنحون الفرص التعليمية، ويحسن نوعية الحياة لدى السكان الذين يحصلون على هذه الفرص كما كشفت دراسة "التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي: دراسة في الواقع المصري" (أبو ليلة، ٢٠٠٩: ١٧). ولأن التعليم مهم في زيادة الوعي بالنسبة لممارسة الأدوار التي يؤديها الفرد، وبالنسبة للاختصاص والخبرة المهنية فقد حاولت الدراسات الإجابة على تساؤل مهم مؤداه: هل هناك علاقة بين التعليم والحراك الاجتماعي للفئات المهنية المختلفة؟ كدراسة "التعليم والحراك الاجتماعي والمهني: العلاقات والآليات"، وقد خلصت إلى أن جيل المبحوثين الذين عاصروا مجانية التعليم قد حققوا حراكًا تعليميًا عاليًا بالمقارنة بجيل الآباء، وأن هذا الحراك التعليمي ترتب عليه حراك مهني شمل كل الفئات الاجتماعية المدروسة (الضبع، ١٩٩٥: ٨٠). واتفقت هذه النتيجة مع ما توصلت إليه كل من دراسة J.1. Duncan Deary, Blau and من أن التعليم مؤشر هام من مؤشرات الحراك الاجتماعي بين الأجيال المختلفة (J.1.Deary, 2005, p. 455)، الأمر الذي

يستلزم من الدولة كما بينت دراسة Becker and Tomes تحقيق العدالة التعليمية بين جميع الطبقات الاجتماعية.(Gaentzsch, Roman, 2018, p. 9)

٢- المهنة

لاقت المهنة قبولاً كبيرًا عند كثير من الباحثين في موضوع الحراك الاجتماعي عبر الطبقات الاجتماعية سواء كان على مستوى الدراسة النظرية التحليلية أو على المستوى الميداني؛ وذلك باعتبارها أبرز العوامل المحددة للوجود الطبقي والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للفرد، ويعتبر "جوستاف شمولر" من أوائل من أكد أهمية المهنة في تحديد الوضع الطبقي لأفراد المجتمع؛ فهو يرى أن تفاوت المراتب الاجتماعية والاختلافات الطبقية في المجتمع ليست إلا انعكاسات لاختلاف المهن.

أما تقدير "سوركين لأهمية المهنة في تحديد الأوضاع الطبقية لأفراد المجتمع أن جعل أحد أشكالها الرئيسية للترتيب الطبقي مرتبطًا أشد الارتباط بالمهنة هو الترتيب أو التدرج المهني، وهو في ذلك ميز بين شكلين من أشكال الترتيب المهني هما: التدرج الطبقي داخل المهن، والترتيب الطبقي بين المهن (عبيد، ٢٠١٦، ص١٠)، ويؤدي ارتقاء الفرد في التركيب المهني وتغييره لوضعه المهني عن وضع أسرته الأصلية وصعوده أو هبوطه في السلم المهني إلى تغيير مكان إقامته ومعارفه وأصدقائه واختلاطه ببيئة اجتماعية مغايرة لأسلوب حياته ومركزه الاجتماعي الذي نشأ فيه (حمدي، ٢٠٢١: ١١). كما طرح في دراسة "الحراك الاجتماعي والتحديات الأمنية" ودراسة "الحراك الاجتماعي بين الأجيال والتفضيل المهني لدى الأبناء"، ولكن ذلك ليس في كل الأحوال أن يستلزم الحراك المهني الانفصال البيئي والاجتماعي عن الخلفية العائلية ففي دراسة "كريستوفر وزملائه" توصلوا إلى أن الخلفية العائلية تعد من أهم العوامل التي تقود إلى النجاح المهني هذا بالإضافة إلى التحصيل الأكاديمي المميز فهو له علاقة قوية بالنجاح في المجال الاقتصادي والمهني، وهذا ما يتفق مع دراسة "كريمكووسكي" عن الاختلافات الثقافية بين المجتمعات في الحراك الاجتماعي المتحقق من خلال المهنة، والتي قارن فيها عملية اكتساب المكانات المهنية في بولندا والولايات المتحدة وألمانيا الغربية، فقد أظهرت أن التعليم كان أكثر أهمية في تحديد

المهنة في بولندا وألمانيا الغربية منه في الولايات المتحدة، أما "تريمان" فقد درس العلاقة بين التصنيع والحراك المهني، وأكد على أن إذا كان الحراك المهني ناتج عن التغير في التوزيع المهني بين الأجيال فإن ذلك يرجع بصورة مباشرة إلى كل من " التعليم والإعلام والتحضر والحراك الاجتماعي الجغرافي " التي تعد بمثابة عوامل اجتماعية متعددة يتوقع مع توافرها وتحققها حدوث نسب عالية من الحراك المهني، وفي ضوء تعدد العوامل المؤثرة في نمط واتجاه ونسبة الحراك المهني يمكن أن نوجزها فيما حدده" شناور" من عوامل هى :العوامل الديموغرافية، والعوامل التكنولوجية، والعوامل التنظيمية، وعوامل التغيرات البيئية. (البدانية، المجالي، ١٩٩٦: ٢١٣).

٣- الهجرة

كشفت دراسات عديدة عن العلاقة بين الهجرة والحراك الاجتماعي موضحة أن الهجرة تعلب دورًا كبيرًا في تحقيقه حيث إنها ناتجة عن السعي لتحسين ظروف وأحوال الأفراد والجماعات اجتماعيًا واقتصاديًا لما تتيحه من فرص متعددة في التعليم والعمل ومستوى عالٍ من الدخل، ومن ثم تحقيق الرقى الاقتصادي والاجتماعي للأفراد (عبيد، ٢٠١٦: ٢)، ومن بين هذه الدراسات ما جاء في دراسة "ماذا حدث للمصريين؟ تطور المجتمع المصري في نصف قرن ١٩٤٥ – ١٩٩٥" والذي قُدم فيها تحليل شامل لقضية الحراك الاجتماعي في مصر وأسبابه وآلياته المختلفة حيث رصد أن فترة السبعينات والثمانينيات قد تحقق فيها معدلات عالية من الحراك الاجتماعي السريع الذي ارتبط بصورة مباشرة بارتفاع معدلات الهجرة والتي صاحبها حدوث تغيرات طبقية حادة ناتجة عن تكوين ثروات طائلة بأقل مجهود ممكن(أمين، ٢٠١٩:٢٠)، وما جاء في دراسة "Platt Lucinda"، ودراسة "الهجرة غير الشرعية والحراك الاجتماعي في القرية المصرية، ودراسة "السياسة الاجتماعية ومواجهة الهجرة غير الشرعية" وأيضًا دراسة "سياسات التنمية البشرية كمدخل للحد من الهجرة غير الشرعية" ويستفاد من مجمل النتائج التي توصلت إليها هذه الدراسات في أنها كشفت عن حقيقة أن المهاجر لا يكون مشغولاً بالتغلب على الفقر بقدر انشغاله بتحقيق تطلعاته وطموحاته لحياة

أفضل من كافة النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية حتى ولو بطرق غير مشروعة أو بالتحايل على القوانين للهجرة (أنور، ٢٠١٦ : ٩).

٤- الأيديولوجيا السياسية

توصلت الدراسات السابقة أن الأيديولوجيا السياسية تلعب دورًا بارزًا في الحراك الاجتماعي ؛لأنها تمثل المنطلق الفكري الذي يدور حوله النظام السياسي، والذي يحدد طبيعة النظام الاجتماعي القائم، ففي الأنظمة المفتوحة وهي مجتمعات مرنة الحركة؛ لأنها قائمة على الديمقراطية، فإن فرصة الفرد تكون كبيرة لحراكه في المجتمع، حيث تلعب المواهب والقدرات الشخصية والإبداع والابتكار كلها دورًا كبيرًا في صعوده إلى طبقة اجتماعية أعلى من طبقته، أما في المجتمعات المغلقة والتي تسود فيها اللامساواة حيث تتحكم فيها طبقة أو فئة أو حزب معين وتستولي على خيرات المجتمع (عبيد، مرجع سابق :١٢). وقد توصلت دراستا " الحراك السياسي والأمن الاجتماعي الاقتصادي في المجتمع المصري "، و "قراءة في الحراك الاجتماعي والسياسي بالمنطقة العربية: حالتا تونس ومصر بعد الثورة " إلى أن تعزيز آليات الحراك الاجتماعي والسياسي داخل المجتمعات يؤدي إلى تحسن الأمن الاجتماعي والاقتصادي لبعض الفئات ممن شاركوا بأنشطتهم في الضغط على السلطة من أجل تلبية مطالبهم، مما يدل على أهمية وجود فاعلين لديهم القدرة على المشاركة واغتنام التحولات السياسية والمجتمعية بما يحقق طموحاتهم (شكر، ٢٠٢٠، ص٣٩٣).

المحور الثالث: الحراك الاجتماعي وشريحة الفقراء

عند ربط قضية الحراك الاجتماعي بشريحة الفقراء وجد أن هذه العلاقة تستند إلى المسلمات والفروض التي تشكل نظرية رأس المال البشري؛ لذلك انطلقت الدراسات السابقة ؛ لتختبر صحة الفرضية التي تقر بأن هناك علاقة قائمة بين التعليم والدخل والمهنة من شأنها أن تزود القوة العاملة أو الشريحة الدنيا بالخبرات والمهارات العلمية والعملية والقدرات التي تزيد من مواهبهم وسلوكهم في تحسين كم وجودة الإنتاج (عبد ربه، ١٩٩٥ : ٤٠). ومن ثم يعد التعليم صورة من صور الزحف الهاديء واستثمارًا طويل المدى يتجسد في الثروة البشرية ويدر عوائد اقتصادية أكبر من ذلك الاستثمار

في رأس المال الطبيعي وعليه يسهم التعليم في تذويب الفوارق الاقتصادية والاجتماعية بين أفراد المجتمع، كما يُسهم في حراكهم الاقتصادي والاجتماعي من مستويات معيشية أقل إلى مستويات أعلى وأفضل، ومن بين الداراسات التي أثبت ذلك دراسة "إسهامات التعليم في دخل الفرد والمجتمع وعلاقتها بالحراك الاجتماعي والفوارق الاقتصادية وخفض نسب الفقر بين أفراد المجتمع المصري"، "ودراسة الفقر والحراك التعليمي بحث ميداني في محافظة بني سويف" (حسين، ٢٠١٧: ٨٣). كما سارت دراسة كل من "بابرا أوليفيزا " على ذات النهج وأكدتا أن التعليم يلعب دورًا – خاصة في مستوياته العليا – في تحسين الدخل للمناطق الريفية الجنوبية في ولاية جورجيا كنتيجة مباشرة لتأثير التعليم في تحسين دخول السود وفي خفض نسب البطالة وارتفاع نسب مشاركتهم في قوة العمل والإنتاج والحراك إلى مراكز وظيفية وأوضاع اجتماعية متصاعدة . وكذلك دراسة "جاندها يلاند" عن العلاقة بين التعليم والتنمية والفقر وتوزيع الدخل في إحدى وعشرين دولة نامية خلال عدة مقاييس هي: توزيع الدخل ومساهمة الدخل، ونسبة الفقر، حيث حاولت اختبار فروض نظرية رأس المال البشري، وتوصلت إلى أن التعليم يسهم في الدخل وفي تقليل نسب الفقر الاقتصادي ويعمل على حراك الأفراد اقتصاديًا واجتماعيًا لمستويات أعلى (عبد ربه،مرجع سابق :٤٢).

لم يكتف الفقراء في سعيهم الحثيث للتنقل عبر الطبقات في الاعتماد على آلية التعليم فقط فقد اعتمدوا أيضًا على ممارسة بعض الأنشطة الاقتصادية التي تكفل لهم تحقيق ذلك؛ ولهذا انطلقت بعض الدراسات من تساؤل مهم؛ هل تساهم الأنشطة الاقتصادية غير الرسمية في تحقيق الحراك الاجتماعي للممارسين لها في الطبقات الدنيا في الوسط الحضري؟ ومن بين هذه الدراسات دراسة عن "القطاع غير الرسمي في مدينة القاهرة: دراسة على المنشآت (البنية والتنمية)، ودراسة "الحراك الاجتماعي للعاملين في القطاع غير الرسمي في المجتمع الحضري"، ودراسة النشاط الاقتصادي غير الرسمي وحركية الأفراد العاملين في الوسط الحضري" . وتبين أن هذه الأنشطة تعتبر في مجمل الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية الموجودة في المدينة كظاهرة اجتماعية وترتبط بصورة قوية بقضية الحراك الاجتماعي لممارسيها، فإن أصحاب

الأعمال الذين يزاولون أنشطة القطاع غير الرسمي بدءوها في سن مبكرة، وأن تعليمهم المهني تم من خلال القطاع غير الرسمي نفسه إذ في غالب الأحيان يبدأ العامل بعمل لدى الغير لعدة سنوات وبعد اكتساب حد أدنى من الخبرة وتجميع بعض الأموال يبدأ في الانتقال والحراك إلى عمل خاص، إذ يتحول من مجرد عامل إلى صاحب عمل (بوزيدي، ٢٠٢١: ٩٦). وعليه فإن الأنشطة التي يزاولها العاملون بالقطاع غير الرسمي يكون لها دور في حراكهم اقتصاديًا واجتماعيًا.

كشفت الدراسات السابقة عن عدة قضايا مهمة يجب أخذها في الاعتبار عند دراسة الحراك الاجتماعي لدى شريحة الفقراء، وفيما يلي :

– تعددية الأساليب والطرق التي تمكن من قياس الحراك الاجتماعي فمنها: طريقة القياس بين الأجيال، وطريقة القياس داخل الجيل الواحد، ومنها أيضًا: المقاييس الموضوعية والمقاييس الذاتية مما يدل على أن الحراك الاجتماعي هو عملية دينامية ونسبية ومتغيرة عبر الزمن تختلف باختلاف الأجيال، وتختلف من وقت لآخر في حياة الفرد، كما يدل أيضًا على أن هذه العملية لا تعبر عن تباين المواقع الاقتصادية أو المهنية أو الجوانب الموضوعية فقط بين الأفراد، بل تشتمل أيضًا على تباين كل ما هو ذاتي ورمزي.

– تمتاز عملية الحراك الاجتماعي بالمرونة الناتجة عن تعدد الآليات التي تساعد على حدوثها؛ إذ كشفت الدراسات السابقة عن مجموعة متنوعة منها وهي: التعليم والمهنة والدخل والهجرة والأيديولوجيا مؤكدة على ضرورة دراسة هذه العوامل على خلفية الوعي بتداخلها وتشابكها وارتباطها بعوامل أخرى فاعلة مثل: رأس المال الاجتماعي والثقافي وخبرات الطفولة وفرص العمل، ومستوى الرفاه الاجتماعي، والتأثيرات البيئية المختلفة الأمر الذي يدعو إلى دراسة الحراك الاجتماعي في ضوء الرؤية الكلية الشاملة اجتماعيًا وثقافيا واقتصاديا وسياسيًا.

- ظهور التعليم كمصدر أساسي للحراك الاجتماعي لدى جميع الشرائح الاجتماعية بصفة عامة، وشريحة الفقراء بصفة خاصة يوحي بارتباط قضية الحراك الاجتماعي بقضية هامة وهي قضية رأس المال البشري والثروة البشرية

ومالها من أهمية لا تقل عن أهمية رأس المال المادي في تذويب الفوارق الاقتصادية والاجتماعية.

- عند دراسة قضية الحراك الاجتماعي لابد من التمييز بين الحراك الزائف القائم على أساليب غير شرعية والحراك الاجتماعي عن جدارة واستحقاق ومهارات وفرص، لذلك تبنت الدراسة الحالية مفهوم استراتيجيات الزحف الهاديء الإيجابي الذي يعبر عن حراك اجتماعي بأساليب وطرق شرعية ومقبولة اجتماعيًا.
- الوعي بالانتماء الطبقي والمصلحة الطبقية أحد الأبعاد المهمة عند ربط قضية الحراك الاجتماعي بشريحة الفقراء.
- بينت الدراسات السابقة إمكانية اللياقة والتعددية المنهجية عند دراسة موضوعات هامة مثل : الحراك الاجتماعي وآلياته عند الفقراء الفاعلين القادرين على التنقل الطبقي، وذلك من خلال توظيفها لعدد من المناهج والأدوات المختلفة مثل: الاستبيان والمقابلات، والمقاييس، الأمر الذي يوحي بقابلية متغيرات الدراسة للفهم والتفسير عن طريق توظيف المناهج والأدوات الملائمة.

ثامنًا: الاستراتيجية المنهجية للدراسة

١- نوع الدراسة : وصفية تحليلة.

٢- منهج الدراسة :

اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي كأحد المناهج التي تتيح جمع الحقائق والمعلومات عن حياة حالات الدراسة في مراحل حياتية مختلفة ؛حتى تتيسر عملية المقارنة بين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية الحالية وبين الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في الأسرة الأولى الأمر الذي يكون بمثابة دليلاً منهجيًا على شكل وطبيعة واتجاه عملية الحراك الاجتماعي لديهم.

٣- الطريقة العامة للدراسة :

اعتمدت الدراسة على طريقة دراسة الحالة كطريقة رئيسية لها، وتمثلت في:

أ- دراسة الحالة الوصفية : تعبر عن وصف منظم ومنهجي لكافة العوامل التي دفعت حالات الدراسة إلى ابتكار آليات الحراك الاجتماعي الصاعد في ظل الندرة.

ب- دراسة الحالة التفسيرية : تعتمد على البيانات والأطر النظرية؛ بهدف الوصول إلى تفسيرات لحالات معينة ومحددة أي حالات تمكنت بالفعل من الصعود طبقيًا.

جـ - دراسة الحالة المتعلقة بتقييم نظرية ؛ لتقدير ما إذا كانت النظريات المستخدمة قادرة على تفسير العمليات والنتائج التي تم جمعها من حالات الدراسة (بورتا، كيتنج، ٢٠٢٠ : ٣٨٥) بما ييسر اختبار صدق مقولات نظرية الزحف الهاديء ونظرية "بيير بورديو" عن رأس المال النوعي، ومقولات محددات الفعل الطبقي بطريقة تثبت عجز نظرية ثقافة الفقر أو الهامشية الثقافية وتعميماتها المطلقة عن قراءة وتفسير الواقع الاجتماعي عند شريحة الفقراء.

لما كان الحدث وحدة تحليل أساسية في دراسة الحالة فقد أتاحت الحالات عن طريق السرد القصصي الفرصة للتعرف على أهم الأحداث والمواقف الحياتية، والتي تعد بمثابة نقطة التحول الفاصلة التي دفعتهم إلى اتخاذ القرارات المتعلقة بضرورة تغيير الوضع الطبقي إلى وضع أفضل مما يساعد على تعميق فهم دور الفقراء الفاعلين في تشكيل نوعية حياتهم المستقبلية في ضوء خبرات الماضي، وقد تم اختيار بعض نماذج من هذه الأحداث والمواقف التي روعي عند اختيارها عدة معايير هى : مدى أهمية الحدث أو الموقف لصاحبه، ودلالته في تشكيل ممارسة اجتماعية قادرة على ابتكار آليات للصعود الطبقي.

٨- أدوات الدراسة

أ- المقابلة المتعمقة

اعتمدت الدراسة على دليل المقابلة المتعمقة للحصول على بيانات أكثر عمقًا عن حالات الدراسة، وفيما يتعلق بمراحل إعداد هذا الدليل فبعد أن تمت صياغته بما يخدم أهداف الدراسة تم عمل اختبار قبلي Pre Test ، وذلك بتطبيقه على حالتين

من حالات الدراسة، وذلك للتأكد من تغطيته لكافة الأبعاد التي تريد الدراسة الوقوف عليها والتحقق منها قبل التطبيق النهائي له، وقد نتج عن ذلك إعادة صياغة العديد من بنود الدليل، وحذف العديد من البنود الأخرى المتكررة والمتشابهة مع غيرها، وقد اشتمل الدليل في صورته النهائية على المحاور التالية:

- البيانات الأساسية.
- الأحداث والمواقف الدافعة للحراك الاجتماعي.
- آليات الحراك الاجتماعي.
- الأبعاد الموضوعية لعملية الحراك الاجتماعي.
- الأبعاد الذاتية لعملية الحراك الاجتماعي.
- محددات رأس المال الاجتماعي والحراك الاجتماعي.

ب – الملاحظة

تم تصميم دليل الملاحظة ؛ حتى يتم التأكد من المعلومات والبيانات المتعلقة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لحالات الدراسة.

ج– **أساليب التحليل والتفسير**

اعتمدت الدراسة على أسلوب التحليل الكيفي، وتم تفسير المادة الميدانية في ضوء المقولات النظرية التي انطلقت منها الدراسة.

٩– مجتمع الدراسة ومعايير اختيار حالات الدراسة

تم اختيار اثنتي عشرة حالة للدراسة بأسلوب كرة الثلج Snow balling من ثلاث محافظات هى: القاهرة، و الجيزة، و البحيرة، روعي عند اختيارهم المعايير التالية :

- انتماء الأسرة الأولى (الأسرة الوالدية) إلى شريحة الفقراء.
- تمكن هذه الحالات من تحقيق حراك اجتماعي صاعد مقارنة بأسرة آبائهم.
- التنوع في الخصائص الديموجرافية مثل النوع، والعمر، والحالة التعليمية، والحالة الاجتماعية، والمهنة، والأصول الريفية والحضرية.
- التنوع في الآليات المحققة لعملية الحراك الاجتماعي.

يمكن تجميع خصائص حالات الدراسة في الجدول التالي:

المتغير / رقم الحالة	الاسم	النوع	السن	الحالة التعليمية	المهنة	الدخل	ثبات الدخل	مصادر الدخل	الملكية	الحالة الاجتماعية	عدد أفراد الأسرة	تعليم الأب	تعليم الأم	مهنة الأب	مهنة الأم	دخل الأسرة الأولى	مصادر الدخل الأسرة الأولى	ثبات الدخل	الملكية	عدد أفراد الأسرة الأولى	الموطن الأصلى	آلية الحراك الاجتماعي
(١)	أبو كريم	ذكر	٧٥	ابتدائية	يملك أكبر محلات كشرى	٥٠٠٠جنيه يوميا فأكثر	ثابت	محلات	العقار السكنى محلات كشرى سيارات	متزوج	٦	أمي	أمى	مزارع	مزارعة	٢٠-٥٠ جنيه يوميا	الزراعة – بيع الكشرى	غير ثابت	لا يوجد	٤	الريف	المهنة
(٢)	سليم	ذكر	٢٥	بكالوريوس طب	دكتور بيطري	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	عيادة الطب البيطري	العقار السكني شراكة في مركز علاجي سيارة	أعزب	–	بكالوريوس الكلية الحربية	ثانوية عامة	ضابط	ربة منزل	١٠٠٠ جنيه	المعاش	ثابت	لا يوجد	٤	الحضر	التعليم + المهنة
(٣)	نبيل	ذكر	٢٥	بكالوريوس طب	دكتور بيطري	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	عيادات الطب البيطري	العقار السكني اكبر عيادات الطب البيطري في مصر والوطن العربي	أعزب	–	أمي	أمي	موظف بإحدى الجهات الحكومية	ربة منزل	١٠٠٠ جنيه شهريًا	عمل الأب	ثابت	لا يوجد	٤	الحضر	التعليم + المهنة
(٤)	عبد الله	ذكر	٤٤	بكالوريوس هندسة	مهندس	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	مهنة الهندسة	العقار السكني في مصر واستراليا سيارتين	أعزب	٢	معهد فني متوسط	تقرأ وتكتب	سائق	لا يعمل	٢٠ جنيه يوميًا	عمل الأب	غير ثابت	لا يوجد	٦	الحضر	التعليم + الزواج + الهجرة
(٥)	هيثم	ذكر	٤٤	بكالوريوس هندسة	مهندس	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	مهنة الهندسة	عقار سكني سيارة مكتب هندسة	متزوج	٤	معهد فني صناعي	ابتدائية	فني صناعي	ربة منزل	١٥٠٠ جنيه شهريًا	عمل الأب	ثابت	لا يوجد	٥	الحضر	التعليم + السفر
(٦)	أحمد	ذكر	٢٥	ماجستير	مستشار في القانون الدولي	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	مهنة المحاماة	سيارة	أعزب	–	أمي	أمية	نقاش	ربة منزل	من ٢٠ إلي ٥٠ جنيه يوميا	عمل الأب	غير ثابت	لا يوجد	٥	الريف	التعليم + المهنة
(٧)	هيام	أنثي	٤٢	ليسانس حقوق	لا يوجد	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	الزوج	العقار السكني	متزوجة	٤	أمي	أمية	سائق	ربة منزل	من ٢٠ إلي ٥٠ جنيه يوميا	عمل الأب	غير ثابت	لا يوجد	٧	الحضر	التعليم + الزواج
(٨)	نادية	أنثي	٦٩	أمية	لا يوجد	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	المعاش+عمل الأولاد	عقار سكني سيارة	أرملة	٥	أمي	أمية	كهربائي	ربة منزل	١٥٠٠ جنيه	عمل الأب	ثابت	لا يوجد	٥	الحضر	تعليم الأولاد
(٩)	فريدة	أنثي	٥٠	أمية	لا يوجد	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	المعاش الزوج+عمل الأولاد	عقار سكني سيارة	أرملة	٥	أمي	أمية	موظف	ربة منزل	١٥٠٠ جنيه	عمل الأب	ثابت	لا يوجد	٨	الحضر	تعليم الأولاد
(١٠)	مروة	أنثي	٥٢	بكالوريوس تجارة	تملك قطع غيار مكن	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	الشركة	فيلا شركة سيارتين	متزوجة	٥	أمي	أمية	موظف	ربة منزل	١٠٠٠	عمل الأب	ثابت	لا يوجد	٥	الحضر	التعليم + المهنة
(١١)	سارة	أنثي	٤٠	الشهادة الثانوية التجارية	شركة لتأجير السيارات	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	الشركة	عقار سكني شركة لتأجير السيارات أرض + سيارة	متزوجة	٤	أمي	أمية	ارزقي	ربة منزل	من ٢٠ إلى ٥٠ يوميا	عمل الأب	غير ثابت	لا يوجد	٩	الحضر	الزواج
(١٢)	كريمة	أنثي	٦٠	أمية	محل أسماك + أرض	يزيد عن ٣٠٠٠٠ألف جنيه شهرياً	ثابت	محل الأسماك	محل الأسماك عقار سكني مخزن + سيارة	مطلقة	٥	أمي	أمية	مزارع	مزارعة	من ٢٠ إلى ٥٠ جنيه يومياٍ	عمل الأب + عمل الأم	غير ثابت	لا يوجد	٩	الريف	المهنة

بقراءة الخصائص الديمجرافية لحالات الدراسة تبين أن:

تمكن جميع الحالات من تحقيق حراك اجتماعي صاعد، حراك بالنضال، مقارنة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لآبائهم، والتي عبرت عنها مؤشرات هامة: كانخفاض المستوى التعليمى والمستوى المهني وانعدام الملكية، والذي واكبهم انخفاض شديد في مستوى الدخل وعدم ثباته واستقراره عند بعض الحالات، ناهيك عن ارتفاع عدد أفراد الأسرة بصورة لاتتناسب مع معدلات الدخل والقدرة على الإنفاق، هذه المؤشرات التي تحسنت عند حالات الدراسة بصورة كبيرة وانعكست في ارتفاع المستوى التعليمى لدرجة وصول بعض حالات الدراسة لمرحلة الماجستير، وارتفاع مستوى الدخل الشهري لدرجة أنه يزيد عن ٥٠٠٠ جنيه يوميًا عند حالة من حالات الدراسة فضلاً عن ارتفاع مستوى الملكية وتعدد الممتلكات لديهم.

تنوع الفئات العمرية للحالات مما يدل على أن الرغبة في تحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد ليست مرتبطة بمرحلة عمرية بعينها.

سعت جميع الحالات إلى بذل قصارى جهدهم للصعود الطبقي لم يختلف الذكور عن الإناث في ذلك، ولم يختلف ذوو الأصول الريفية عن ذوى الأصول الحضرية فكل منهم تمكن من تحقيق ذلك.

تعدد الآليات التى وظفت لتحقيق الحراك الاجتماعي وتمثلت في المهنة، والتعليم والزواج، والهجرة، وقد اعتمدت بعض الحالات على آلية بمفردها في حين أن جمع البعض الآخر بين أكثر من آلية.

تاسعًا: الأحداث والمواقف الدافعة للحراك الاجتماعي في حياة الفقراء

يمثل الحدث عنصرًا أساسيًا في الحياة، بحيث يصعب إدراك التتابع الزمني لمسار حياة فرد أو جماعة أو مجتمع دون تصورها على هيئة سلسلة من الأحداث المترابطة، ويُعَرِّف "جوردون مارشال" الأحداث المهمة في الحياة بأنها تمثل نقط تحول بارزة في حياة الشخص وفي الأدوار النشطة التي يشجع على الاضطلاع بها، والجماعات التي يتفاعل معها كما قد ترتبط بتغيرات في الاتجاهات والقيم.

وتعبر عملية ابتكار الفقراء لآليات حراكهم الطبقي ومحاولات تجاوزهم الوضع الاقتصادي الاجتماعي الذي يعيشونه عن تفاعل دينامي بين كافة العوامل المرتبطة بالخبرات السابقة، من ناحية، والملابسات المرتبطة بالأحداث والمواقف المستجدة من ناحية أخرى بحيث تصبح محاولات زحفهم الهاديء من شريحة اجتماعية إلى أخرى أعلى بمثابة كيان متفاعل بين الماضي والحاضر ويترتب على هذه العملية صنع كافة الآليات التي تمكن من استغلال خبرات الماضي والاستفادة منها أو تجاوزها من أجل صياغة حاضر ومستقبل أفضل مما يساعد على تعميق فهم دور الفقراء الفاعلين في تشكيل نوعية حياتهم المستقبلية في ضوء خبرات الماضي.

فالأفراد ليسوا مجرد حاملين سلبيين للخبرة، بل هم ذوات نشطة حسب تعبير "برونر" (المصري، مرجع سابق : ٢٧٥)، وقد ساعد السرد القصصي للحالات على التمييز الدقيق بين الحدث والموقف. وقد تبين أن الأحداث أعم وأشمل من المواقف وتبين أيضًا أن كليهما ساهما في إحداث نقلة نوعية في حياة حالات الدراسة وقد تم اختيار بعض نماذج من الأحداث والمواقف روعي عند اختيارها عدة معايير، وهى: مدي أهمية الحدث أو الموقف في حياة صاحبه، ودلالته في قدرة الأفراد على ابتكار آليات الحراك الاجتماعي والصعود الطبقي.

وفيما يلي سيتم عرض مجموعة من الأحداث والمواقف المهمة في حياة حالات الدراسة والتي تعد بمثابة نقطة التحول الفاصلة التي دفعتهم إلى اتخاذ القرارات الحياتية الهامة المتعلقة بابتكار آليات تغيير الوضع الطبقي، ومن الواضح أنها أحداث وثيقة الصلة بعالمهم حين كانوا فقراء، ومرتبطة بمراحل مبكرة من حياتهم وبمشاعر متعددة ؛ كالمعاناة والحرمان والطموح وتحديد أهدافهم في الحياة.

١ – مواقف حياتية عامة في مراحل الطفولة:

أ – الدعاء والتضرع اليومي لحل المشكلات الحياتية

كان من أبرز المشكلات الحياتية لدى الأسر الأولى (الفقيرة) في حياة حالات الدراسة الديون المتراكمة، وما ينجم عن العجز عن سدادها من مشكلات في الحياة اليومية للحالات، وكان أرباب الأسر يتضرعون إلى الله يوميًا عقب كل صلاة ويلجئون

إليه بالدعاء ؛ ليسر لهم وسائل قضاء هذه الديون، وكان هذا الموقف من أكثر المواقف تأثيرًا على بعض حالات الدراسة إذ جعلهم يشعرون بالإشفاق على والديهم، وبالرغبة في ضرورة تغيير نوعية حياتهم، وهذا ما حدث بالفعل مع عبد الله [١] فيسرد قائلاً:

" أنا عمري ما أنسى منظر أمي وأبويا، وهما مخنوقين من الفلوس الكتير والديون الكتير اللي عليهم، وكانوا على طول يدعوا ربنا سبحانه وتعالى علشان يساعدهم للخروج من ورطة الديون دي، وكمان كانوا بيدعوا كل يوم بالفرج، الصراحة كانوا بيصعبوا عليا أوي ومن يومها قررت إني لا زم أغير حياتي وإلا هنفضل كلنا في نفس المعاناة".

ب- الرغبة في محاكاة أفراد الشرائح الاجتماعية الأعلى

شكلت ملاحظة وتتبع السلوك والأفعال الاجتماعية في حياة أفراد الشرائح الاجتماعية الأعلى عند بعض حالات الدراسة دافعًا قويًا للصعود الطبقي على نحو يمكنهم من تقليد ومحاكاة مثل هذا السلوك و الأفعال ولو بعد حين أي بعد تملكهم إمكانيات هذا التقليد، وكان من أبرز تلك الأفعال ما سردته مروة[٢] متأثرة بجيرانها المنتمين إلى الشريحة العليا، والذين كانوا يقومون بتوزيع أموال طائلة على الفقراء والمحتاجين بغير حساب، وفي أوقات مختلفة على مدار العام.

" أنا كنت بشوف جارتي مرات الراجل الغني اللي في آخر شارعنا بتمشي في الشارع بشوال أو شنطة كبيرة فيها فلوس، وتوزع على الناس الغلابة، وده مش مرة واحدة في السنة، ده كان بيحصل كتير، وطبعًا ما وصلوش للفلوس دي من وظيفة ولا دخل حكومي أكيد من المشاريع والتجارة، وبسببهم اتشكل طموحي وبقى عندي كاريزما التاجر".

(١) حالة رقم (٤).

(٢) حالة رقم (١٠).

جـ- قيام الوالدين بأعمال مرهقة بدنيًا من أجل القوت اليومي

إن إرهاق الوالدين يوميًا في أعمال شاقة من أجل سد احتياجات أبنائهم اليومية من المواقف التي لا تغادر ذاكرة الحالات نهائيًا فهم عايشوا معاناة آبائهم لحظة بلحظة دون وعي منهم أن ذلك يشكل دوافع قوية تدفعهم إلى الخروج من مصيدة الفقر المدقع بشتى الطرق فتسرد كريمة(١):

" أنا أبويا وأمي كانوا غلابة أوي، وكانوا شقيانين، وكانوا مش متعلمين، وكانوا بيصعبوا عليا أوي، وبالذات أمي كانت ست طيبة ومريضة، كانت بتشوف بعين واحدة، يعني بتشوف بالعافية، وكانوا للأسف مش لاقيين ياكلوا، كان كل همهم يأكلوني أنا وأخواتي، كانوا يخرجوا من الفجر يروحوا الغيط علشان يلموا الرجلة والحشائش من الزرع، كانوا بيتعبوا أوي علشان شوية ملاليم، وأنا وأخواتي كنا بنساعدهم، بس أنا قلت مش لازم نعيش عمرنا كله في التعب ده الناس دي لازم ترتاح شوية، وأنا مش هاقدر أكمل حياتي زيهم بالمعاناة دي".

٢- أحداث تعليمية

أ- الحرمان من التعليم

إن حرمان بعض حالات الدراسة من حقهم في استكمال مراحلهم التعليمية شكل لديهم دافعًا قويًا؛ لتعويض هذه الرغبة وهذا الحلم الذي لم يتحقق في أبنائهم، فجعلوهم استثمارهم الحقيقي، وتعاملوا معهم باعتبارهم رأس مال اجتماعي من الممكن تطويره ؛ للاستفادة منه في المستقبل وفي تغيير وضعهم الاقتصادي الاجتماعي وهذا ما حدث بالفعل مع فريدة(٢):

"أنا اتحرمت من التعليم وده شئ تعبني نفسيًا جدًا، كنت طول الوقت بحس إني في حاجة نقصاني وإني أقل من كل الناس، لأن أبويا استسهل وقعدنا من المدرسة علشان المصاريف، لكن أنا غيره ؛ علشان اتحرمت مش هاحرم ولادي، مش لازم

(١) حالة رقم (١٢).

(٢) حالة رقم (٩).

يعيشوا معاناتي ولا حرماني، ويمكن لما يكبروا تبقى حياتهم أحسن ويساعدوني، ولو ما ساعدونيش تبقى حياتهم هما أحسن من حياتي".

٣- أحداث متعلقة بتنمية الذات

مرت بعض حالات الدراسة بأحداث صقلت شخصيتها الاجتماعية وزادت من ثقتها بنفسها، ودفعتها على المدى الطويل إلى أخذ الآليات المناسبة للحراك الاجتماعي الصاعد، مثل ما حدث مع سليم [١] فقد تمكن من رئاسة اتحاد طلاب الإدارات التعليمية المدرسية لمدة ست سنوات متتالية عن طريق الانتخاب بين المدارس المختلفة على مستوى محافظات مصر بأكملها، وقد اعتبر هذا الحدث من الأحداث المهمة في إكسابه ثقة بنفسه وفي إثراء ذاته بمهارات تواصل اجتماعي عالية، مما جعله يكتسب عدة قيم اجتماعية مهمة مثل : الجرأة والمبادرة والثقة بالذات والتعبير عنها والمشاركة وخوض التجربة، والتي انتهجها جميعًا بعد ذلك في سلوكياته حين قرر أن يغير وضعه الاقتصادي الاجتماعي فيسرد قائلاً:

"أنا كنت رئيس اتحاد طلاب الإدارات التعليمية لمدة ست سنين وراء بعض على مستوى محافظات مصر كلها وده كان بالانتخاب وده مش حاجه سهلة إنها تحصل من غير مساعدة أو واسطة أنا إزاى كنت باقنعهم بيا. معرفش فالتجربة دي خلتني شجاع واثق من نفسي، قادر أحقق حلمي، ما أخافش من حاجة أبدًا، أتعامل مع ناس معرفهاش وبدأت من هنا أخطط لحياتي كلها".

٤- أحداث الزواج

أ- الرغبة في الارتباط:

كانت الرغبة في الارتباط عند أحمد[٢]، من أهم الأحداث التي مرت عليه ودفعته إلى ضرورة التغيير والتمسك بأية وسيلة تساعده على الخلاص من دائرة الحرمان وذلك لأن رغبته في الارتباط من الفتاة التي اختارها رغم أن هذا حق مشروع إلا إن طلبه قد قوبل بالرفض الشديد ولأسباب ترتبط بتدني وضعه التعليمي

(١) حالة رقم (٢).

(٢) حالة رقم (٦).

والاقتصادي والمهني والاجتماعي فأخذ عهدا على نفسه أن يبذل الجهد الحثيث من أجل أن يصعد اجتماعيًا وبالفعل تمكن من تحقيق ذلك.

"هي جت تضرني نفعتني، وفوقتني، وخلتني شفت نفسي على حقيقتها، وعمري ماهاأنسى كلمتها ليا : "إنت مش مستوايا إنت ولا أهلك"، أنا غيرت نفسي ولسه حلمي ما اتحققش مش ها أسكت إلا لما أكون وزير خارجية، طول مافيا نفس هاتعلم واشتغل".

ب- الطلاق:

الانفصال عن شريك الحياة من الممكن أن يكون بداية لحياة جديدة أفضل وأرقى مثلما حدث بالفعل مع سارة[١] وكريمة [٢]

فتقول سارة: *أنا كنت متزوجة من واحد مدمن، وكان حياته صعبة وكان يبيع كل حاجة في الشقة وكان بيضربني، وكانت الحياة كلها فقر في فقر، فالحمد لله قدرت أتطلق منه، واتجوزت جوزي الثاني الحياة اتغيرت تمامًا كفاية إنه فاهمني وبنساعد بعض علشان نعيش حياة أحسن، عمري ما كنت هاعمل ده مع الأولاني"، وتقول كريمة: "أنا لاقيته معندوش طموح اللي بيات فيه يصبح فيه، كل همه ناكل ونشرب وبس، قررت إني بعد ما كنت باشتغل معاه إني أشتغل لوحدي وبعدين اتطلقنا أول ما اتطلقنا حسيت بالحرية والانطلاق كان مخليني مش عارفة أحقق اللي نفسي فيه".*

جـ- الخيانة الزوجية:

رغم إن الخيانة الزوجية هي حدث سلبي، وظاهرة اجتماعية غير سوية لكن تمكنت نادية [٣]من الاستفادة من هذه التجربة القاسية التي شعرت فيها بالخيانة الزوجية لصالحها وصالح أبنائها بل وتغيير حياتهم بأكملها حين قررت تكريس حياتها لهم.

---

(١) حالة رقم (١١).

(٢) حالة رقم (١٢).

(٣) حالة رقم (٨).

"أنا لاقيت نفسي عايشه حياة صعبة، اللي جاي على أد اللي رايح، لو جت حاجه أصلاً، وبناكل بالعافية وعايشين بالعافية، وهو ولا في دماغه، لا وكمان لاقيته بيخوني، قعدت أعيط، ولاقيت إني العيشة ما فيهاش حاجة حلوة إلا ولادي، قررت أقف في ضهرهم لحد ما يتعلموا ويخرجوا من الحياة دي كلها ويعملوا حياة جديدة".

٥- أحداث الوفاة

لاشك أن فقدان رب الأسرة من الأحداث المهمة التي تغير حياة الأسرة رأسًا على عقب، وهذا ما حدث بالفعل مع أبو كريم[١] حين فقد والديه، وقرر أن يتحمل هو مسؤولية أخيه الأصغر، وينفق عليه حتى يكمل تعليمه، مع العلم بأن هذا القرار لم يكن بالقرار الهين فكان أبو كريم في الثانية عشرة من عمره، ولم يكن لديه أي مصدر للدخل، ولم يكن للأسرة أي دخل شهري ثابت،فهو لم يمتلك سوى عربة الكشري الصغيرة، التي تمكن بما لديه من طموح وقدرة على تحمل المسئولية ومرونة في التكيف مع الأوضاع الموضوعية الصعبة، على عكس ما ساد في الأدبيات من سمات مناقضة للفقراء كالدعة والسكون واللامبالاة والتواكل – أن يجعلها على حد تعبيره "مول كبير للكشري" ليس فقط داخل مصر بل وفي بعض الدول العربية الأخرى.

" أنا لاقيت نفسي لوحدي، عيل صغير أبوه وأمه ماتوا، انهرت في الأول، لكن لاقيت إني أنا وأخويا هنعيش إزاي هنموت من الجوع، أنا بعرف اشتغل على عربية أبويا، قلت لأخويا انت هتكمل تعليمك وأنا اللي هااشتغل وهيكون عندي مول كشري والحمد لله ربنا قدرني وعملت اللي في نفس وأكتر".

بالنظر إلى مجموعة الأحداث والمواقف التي أثرت في قرارات حالات الدراسة لتغيير حياتهم إلى الأفضل، وشكلت لديهم الدوافع والعوامل التي حثتهم على تحقيق ذلك والتحكم في الأوضاع المستقبلية يتضح كما ظهر في آراء "بورديو" أن الممارسة الاجتماعية ليست مجرد فعل صادر في الزمن الحاضر، ولكنها فعل موجه من الماضي بخبرات مكتسبة تساعد على تقييم الواقع وتحديد طبيعة الفعل الملائم للتعامل

(١) حالة رقم (١).

معه في ضوء التجارب الماضية والتي تتبلور لديه على شكل قدرات واستعدادات للفعل، لا يمكن أن نتجاهل ظهورها عند شريحة الفقراء.

عاشراً: آليات الحراك الاجتماعي واستراتيجية الزحف الهاديء لدى الفقراء

يشير الحراك الاجتماعي إلى إمكانية تحرك الأشخاص أو الجماعات إلى أسفل أو أعلى الطبقة أو المكانة الاجتماعية، ولذلك فهو يعبر أيضًا عن إمكانات وفرصٍ قائمة تتيح لهؤلاء الأشخاص هذه الإمكانية على التحرك، والتحرك لأعلى بصفة خاصة كما تفترض الأدبيات يستند على الجدارة والاستحقاق، وكذلك فرص متكافئة للجميع يتدفق معها آليات وقنوات متعددة للحراك ومتاحة للجميع بقدر عال من المساواة. لكن حين يكون الحديث عن آليات شريحة الفقراء في الصعود الاجتماعي، والتي طالما عانت من انعدام مهارات الجدارة والاستحقاق ومن عدالة الفرص الاجتماعية، فيكون من المفيد رصد الطرق والآليات التي أوجدتها هذه الشريحة للتشبث بأهداب الطبقات الاجتماعية الأعلى، معبرة بذلك عن أهم أدوات استراتيجية الزحف الهاديء عبر طبقات البناء الاجتماعي وقد تعددت هذه الآليات فيما بين الحالات، فاعتمدت بعضها على آلية واحدة فقط في حين جمع البعض الآخر بين أكثر من آلية عبر مراحل الحياة المختلفة.

ومن بين الحالات التي اعتمدت على آلية واحدة فقط من آليات الحراك الاجتماعي كانت حالة رقم (١، ٨، ١١، ١٢)، في حين أن بقية حالات الدراسة قد جمعت بين أكثر من آلية، ومن هذه الآليات :

١- آلية التعليم

برزت آلية التعليم كأهم الآليات التي سعت من خلالها الحالات إلى تغيير حياتهم وأوضاعهم الطبقية بطريقتين :

الطريقة الأولى هي: سعى الحالات إلى التمسك بتعليم ذواتهم ؛ أملاً منهم في الحصول على وظيفة أو مهنة تضمن لهم الدخل الثابت وتغيير الوضع الطبقي.

الطريقة الثانية: التعليم كوسيلة للاستثمار البشري في الأولاد ومستقبلهم المعرفي والمهني فالتعليم والمهنة ارتبطا كوسيلة مساعدة لأبناء الشريحة الدنيا تمكنهم

من الحراك الاجتماعي الصاعد بما يتيح التعليم لهم من المعارف والمهارات والإمكانات العلمية التي تكفل وتضمن لهم الحصول على مهنة جيدة في المستقبل، فهناك ارتباط إيجابي قوي بين التعليم والمهنة والحراك الاجتماعي.

الأمر الذي اتفق مع ما جاءت به الدراسات السابقة من ضرورة البحث في العلاقة بين التعليم وقضية الحراك الاجتماعي على خلفية الوعي بأهمية العوامل الفاعلة في هذه العلاقة، وبينت حالات الدراسة أن من أهم هذه العوامل الفاعلة "المهنة" التي ظهرت جنبًا إلى جنب مع التعليم ؛ ليمثلا معًا أحد أدوات استراتيجية الزحف الهادىء لديهم عبر الزمن، وعبر الطبقات الاجتماعية وفيما يلي سيتم عرض الطريقتين بالتفصيل:

أ – الطريقة الأولى:

من نماذج السرد القصصي للحالات التي عبرت عن هذه الطريقة نموذج لشاب يدعى عبد الله[١] و يبلغ من العمر (٤٤) عامًا، ويعمل مهندسًا معماريًا في مدينة أستراليا، وهو من أصول حضرية يعيش في مدينة الجيزة ونشأ في أسرة مكونة من ستة أفراد، لأب يعمل سائقًا، وأم ربة منزل، وثلاثة أخوات، وكانت هذه الأسرة تنتمي إلى الشريحة الدنيا حيث انخفاض الدخل، (الذي وصل إلى ٢٠ جنيه يوميًا)، وعدم ثباته واستقراره، وعدم كفايته للإنفاق على هذا العدد من الأبناء الملتحقين بمراحل تعليمية مختلفة. وقد فطن هذا الشاب منذ أن كان في المرحلة الابتدائية أن لا سبيل له للفكاك من مصيدة الفقر، والانتقال إلى نوعية حياة أفضل سوى أن يتشبث بالمدرسة والشهادة التعليمية فهى صمام الأمان بالنسبة له، وكان يؤكد لذاته أنه لابد من الحصول على الشهادة التعليمية المتميزة والالتحاق بالكليات القمة وإلا سيظل يتجرع مرارة الحرمان الاقتصادي والاجتماعي كما تجرعها والديه وإخوته. فيقول *"أنا منذ أن كنت في ابتدائي كنت بهتم بالتفاصيل الصغيرة في حياة والدي ووالدتي، إزاي هما كانوا بيعانوا علشان يأكلونا ويلبسونا ويعلمونا كانت كل حاجة بصعوبة وبالديون، لدرجة إن لما كبرت وبقيت مهندس كانوا الجيران اللي استلفنا منهم كانوا بيعيرونا، وكأن هما*

(١) حالة رقم (٤).

أصحاب الفضل في تعليمي أنا وإخواتي، كل الحاجات دي كانت مرة وصعبة وخنقتني، لكن علشان ربنا بيحبني نور لي بصيرتي خلاني أستفيد من المحنة بدل ما أقعد أعيط، قررت إني أغير حياتي وحياة أهلي، وعرفت وقتها إن أهلي غلابة مش معاهم أى إمكانيات هيساعدوني بيها، وإن الحل الوحيد هو التعليم، ما ينفعش أعيش بطريقتهم على أد الأكل واللبس وبس، فكلمت نفسي وأخذت القرار بيني وبين نفسي إن ما ينفعش إني أكمل كده لازم أذاكر واجتهد، فكان قرار المذاكرة وإني أدخل كلية قمة سواء كلية طب أو كلية هندسة هو ده الحل علشان أضمن شغلانة مريحة، وفعلاً كنت مش بنام كنت شخص مسؤول عارف إني عندي التزامات كنت شاطر أوي في الثانوية العامة، أدخل البيت على طول أقوم أخلص إللي ورايا، وعندي التزام بالامتحانات وماشي بطريقة أذاكر أنجح وأذاكر أنجح معرفش السقوط خالص، كان وكيل المدرسة يتصل بيا علشان يسلمني الشهادة في إيدي علشان فرحان وفخور بيا. عشت أذاكر وبس لحد ما ربنا كرمني ودخلت كلية هندسة، ودخلت قسم عمارة وكان نفسي أتعين معيد في الكلية لكن كان معايا ٢٢ طالب قرايب دكاترة كبار عرفت إن فرصة تعييني في الجامعة هتكون مستحيلة قلت مش مشكلة وبعد ما اتخرجت اشتغلت على طول في شركة هندسية ده غير الشغل الخاص ده غير إني كمان سافرت السعودية سنتين حصلي نقلة مادية بعدها كبيرة جدًا".

ونموذج حالة لشاب آخر يدعى أحمد(١)، وتُعد هذه الحالة من النماذج الأكثر ثراء في تجربتها من حيث ربط التعليم بقضية الحراك الاجتماعي الصاعد عند شريحة الفقراء. ويبلغ من العمر (٢٥) عامًا، ينتمي إلى أسرة شديدة الفقر من أصول ريفية من محافظة البحيرة، عانت هذه الأسرة من بعض مؤشرات الفقر المطلق كتواضع المهنة التي يمتهنها رب الأسرة فهو يعمل "نقاش"، وتواضع الدخل الذي ينتج عن تواضع هذه المهنة الأمر الذي يعكس تدهور الوضع التعليمي والمهاري لهذا الأب، ولم يكن حال الأم أفضل بكثير من حال رب الأسرة فهى ربة منزل أمية بسيطة لا تمارس دورًا إلا أنها تساعد زوجها على تحمل مشاق الحياة وتربية الأولاد، أما أحمد فقد استسلم لحالة

(١) حالة رقم (٦).

الفقر المدقع التي ترعرع فيها في بداية حياته، وأخذ قرار العمل بحرفة النقاشة؛ لمساعدة والده على الإنفاق على أسرته إلى أن جاءت اللحظة الحاسمة، والحدث المهم الذي ساهم في تغيير حياة أحمد من شخص نقاش فقير لا يملك إلا قوت يومه بالكاد إلى مستشار وباحث ماجستير في القانون الدولي وهو احتقار فتاة من الشريحة العليا له ساخرة منه ومن أسرته ومهنته ووضعه الاجتماعي والتعليمي والطبقي، حين صرح لها عن رغبته في الزواج منها.

حينها أدرك أحمد أن لا سبيل له في تغيير حياته إلى الأفضل إلا عن طريق التعليم، فلا توجد آلية من آليات الحراك الاجتماعي أمامه متاحة سوى تلك الآلية فيسرد قائلاً: *" أنا كنت عايش عادي مش في دماغي مذاكرة ولا حاجة، واشتغلت نقاش مع أبويا علشان أساعده، وفي يوم حبيت بنت هى بصراحة ظروفها أفضل مني بكتير، بس أنا حبيتها بجد، وعلشان كنت صادق في مشاعري اتجرأت وصارحتها، واتفاجئت بردها ليا قتلتني وقالتلي إنت مش من مستوايا ولا مستوى عيلتي، لا مهنتك ولا تعليمك يخلوني ارتبط بيك، ومن اللحظة دي قررت إني لازم أكون أحسن وأثبتلها وأثبت للعالم كله إني مش قليل ومش فاشل لدرجة إني كتبت كلامها ده على ورقة وعلقته أدامي في أوضتي علشان كل شوية أشوفه، ودخلت ثانوية عامة وذاكرت لدرجة أني ساعات لما كنت بنام شوية وأفتكر الكلمة دي "انت مش من مستوايا" أصحى من النوم أجري على الكتاب وأذاكر لحد ما دخلت كلية الحقوق ووصلت للماجستير وفتحت مكتب محاماة، وهأفضل آخذ شهادات وأشتغل على نفسي لحد ما التحق بوزارة الخارجية وأكون وزير وهأدخل مشروع تأهيل الوزراء، وعاوز آكل الدنيا كلها، كتر خيرها نفعتني خلتني اتعلمت وحياتي اتغيرت من نقاش للمشاركة في مجلس الشباب العربي للتنمية المستدامة التابع لجامعة الدول العربية كنت مشارك في اللجنة الاقتصادية، وبناقش استراتيجية التنمية المستدامة بحلول ٢٠٣٠، وفي الأسبوع العربي بقعد مع بعض الوزراء والسفراء العرب، وبنتبادل الثقافات والآراء علشان نساعد مصر والدول العربية؛ لتحقيق الاستراتيجية وسافرت مع دكتور مصطفى مدبولي رئيس الوزراء معرض مصر الدولي للبترول، وبحضر مؤتمر الشباب مع الرئيس عبد الفتاح السيسي، كل ده*

بسبب كلامها وسخريتها مني، ولسة هتعلم تاني وتاني لأن التعليم هو اللي رفعني بصراحة".

ونموذج قصة سليم(١) : وهو شاب في الخامسة والعشرين من عمره توفي والده منذ صغره ليعيش مع أسرته البسيطة المكونة من الأم والأخ الأكبر على معاش والده الذي لم يزد عن ١٠٠٠ جنيه شهريًا، وأدرك منذ نعومة أظافره أن الحصول على الشهادة التعليمية هى أساس الحياة، فاهتم بمذاكرة دروسه بجدية منذ أن كان في المرحلة الابتدائية مرورًا بالمرحلتين الإعدادية والثانوية ووصولاً إلى بكالوريوس الطب البيطري؛ إيمانًا منه بأن هذا التخصص لا يقبل عليه الكثيرون من الطلاب للالتحاق به، مما يهيئ له فرص للعمل أفضل.

ومن هنا كان التعليم الجامعي هو المرحلة الأولى في حياته، والتي بنيت عليها المرحلة الثانية الهامة وهي مرحلة العمل بمهنة الطب البيطري التي بدأت بصعوبات ثم انتهت بحراك اجتماعي صاعد؛ حيث تمكن من تغيير الوضع الاقتصادي الاجتماعي من أسرته الأولى المتجسد في المعاش الضئيل، والافتقار إلى الملكية ؛ ليصبح شريك في أكبر عيادات للطب البيطري في مصر، ويمتلك عقاره السكني وسيارته الخاصة.

"أنا علاقتي بالتعليم مش بس أحصل على شهادة علشان حياتي تتغير أنا كنت كمان مهموم بقضية تغيير المنظومة التعليمية كلها علشان أستفيد والناس كلها تستفيد لأن التعليم ده شئ مهم و كان المرحلة الأولى في تغيير حياتي، وبعدها على طول مرحلة الشغل وقدرت أوصل من إني أشتغل عند حد إلى أن أكون شريك في مركز طب بيطري كبير عمري ما كنت أتخيل حاجة زي كده هتحصلي".

ب- الطريقة الثانية: التعليم كوسيلة للاستثمار البشري في الأولاد

المقصود هنا أن تستثمر الأسرة المورد البشري فيها متجسدًا في الأولاد سواء ذكورًا أو إناثًا على حد سواء، عن طريق بذل قُصارى جهدهم في التعليم أملاً منهم في أن يكون هذا التعليم أو هذا الاستثمار آلية من آليات تغيير حياتهم الاقتصادية

(١) حالة رقم (٢).

والاجتماعية إلى الأفضل، وظهرت هذه الطريقة بصورة جلية عند الحالات من الإناث ممن لديهن أبناء، ومن أبرز النماذج المعبرة عن ذلك نادية[١]، وهى امرأة مُسنة أرملة بلغت من العمر (٦٩) عامًا لم تحمل أية شهادة تعليمية عاشت مع زوجها وأسرتها المتواضعة قبل وفاة زوجها في ضاحية من ضواحي محافظة الجيزة، وكان لديها من الأبناء أربعة: ثلاثة من الذكور وفتاة، ولم يتجاوز دخل زوجها الذي كان يقوم بتصليح الأجهزة الكهربائية كعمل أساسي له ١٥٠٠ جنيه شهريًا، كانت امرأة مدبرة وقادرة على الادخار والتخطيط من أجل توفير المال الذي يسمح لها بتعليم أبنائها، فقرار تعليم الأبناء لم يكن بالقرار الهين ؛ لقلة الدخل، ولعدم اقتناع الزوج بتعليم الأبناء، فكان يرى أن تعليمهم ما هو إلا ترف أو رفاهية اجتماعية لا يقوى على تحقيقها، لكن هذه المرأة وقفت صامدة أمام هذه التحديات ؛لأنها رأت أن لا سبيل لديها لمساعدة أبنائها إلا من خلال تعليمهم فكانت تكون الجمعيات الشهرية، وتقترض من الجيران والأهل، وتقلل عدد الوجبات وتقلل الإنفاق وفعلت كل ما بوسعها من أجل تحقيق هذا الهدف،وبالفعل حصل الابن الأكبر على بكالوريوس التجارة،وحصل الابن الثاني على ليسانس الآداب أما الإبنة فحصلت على بكالوريوس التجارة والابن الأصغر حصل على بكالوريوس الجامعة العمالية، ويعمل الابن الأكبر محاسبًا في شركة للأثاث والمفروشات، ويعمل الابن الثاني في أحد البنوك التجارية، أما الابنة فتمتلك مكتبًا للمحاسبة، والابن الأصغر يعمل في إحدى شركات المقاولات متمكنين بذلك من إحداث نقلة نوعية في حياتهم وحياة والدتهم فتقول: *أنا من أول يوم عرفت إني حياتي هتبقى صعبة مع جوزي علشان هو على أد حاله، قلت لازم أعلم ولادي يمكن يساعدوني لما يكبروا ويمكن على الأقل حياتهم تكون أحسن من حياتي أنا وأبوهم، لو كان عليه ماكنش عايز يعلمهم، وأنا قلت لهم ماتخافوش ووعدتهم إني هاعلمهم، كنا ماشيين ببركة ربنا، بس أنا بعرف أدبر يعني عندك مثلاً كنت بستلف وأعمل جمعيات، والله العظيم ده كان بيسافر بالعشر أيام ويسيب لي جنيه بس، وأفضل أستلف، وأسدد لما يجيله فلوس، وأخويا كمان كان بيساعدني أنا أفتكر لما بنتي كانت خلصت الدبلوم وعايزة تعمل*

(١) حالة رقم (٨).

المعادلة علشان تدخل كلية التجارة استلفت من أخويا وعملتلها المعادلة، وأخوها الصغير كان عاوز يدخل الجامعة العمالية وكنت بادفع ٢٠٠٠ جنيه، قلت له وماله يا حبيبي ادخل لازم ياخد بكالوريوس، وكنت أعمل الجمعية وأدفع كان عندي قناعة وفكرة مسيطرة على دماغي إن العيال دي لازم تتعلم علشان ينفعوا نفسهم، إنتي عارفة الأكل كنت بوفر فيه أطبخ على رجل الفراخ والأجزاء كان الكيلو بـ١٥٠ قرش والكبد والقوانص، ونص كيلو الملوخية، وأجيب اللحمة ربع كليو مرة كل أسبوعين، والحتة السمينة ناكلها أنا وأبوهم الله يرحمه، مش مهم بناكل إيه ونلبس إيه المهم العيال كبرت واتعلمت".

ونموذج حالة فريدة[١]، وهى امرأة تبلغ من العمر (٥٠) عامًا وزوجها متوفى ولديها من الأبناء (٤) اثنين من الذكور واثنين من الإناث وأصبح دخل أسرتها يتجاوز (٣٠٠٠٠) جنيه شهريًا، ومن أهم مصادره معاش الزوج، ومساعدات الأبناء، استثمارها البشري الذي طالما راعته ووقفت بجانبهم إلى أن بلغ ما كانت تتمنى محققة بذلك حراك طبقي من أسرة شديدة الفقر لم يتجاوز دخلها ٦٠٠جنيه شهريًا، كما كانت في أسرتها الأولى ابنة لأب موظف فقير يعول ثمانية من الأبناء أرهقه عدم التوازن بين الدخل القليل وبين عدد الأبناء وأوجه الإنفاق عليهم فزج بهم إلى سوق العمل في سن مبكرة ليتمكن من مواجهة صعاب الحياة المادية. هذه الحالة فطنت إلى أن الاهتمام بمستقبل أولادها وتربيتهم وتعليمهم هو وسيلة هامة في تأمين مستقبل الأسرة ككل، فهي لم تنتهج طريقة والدها في تربية أبنائها مؤكدة من خبرات طفولتها أن أخوانها من الذكور قد حرموا من التعليم في سبيل الالتحاق بالعمل من سن مبكرة، الأمر الذي أثر عليهم بالسلب والشعور بالدونية والاحتقار لذواتهم. وهو الأمر الذي رفضت وبشدة أن يحدث لأبنائها فأخذت على عاتقها مسئولية شاقة في تعليمهم حتى وإن أبت كل الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والأسرية أن تسمح لها بذلك، وبالفعل حصل الابن الأكبر على ليسانس الحقوق ويعمل الآن في إحدى الشركات التجارية، والابن الثاني حصل على بكالوريوس الهندسة ويعمل بإحدى الشركات المعمارية والهندسية، والابنة

(١) حالة رقم (٩).

الثالثة حصلت على بكالوريوس التجارة الخارجية هي وأختها الرابعة ؛ لتعملا في أحد البنوك التجارية، وهو ما مكنهم من تقديم كل المساعدات التي تحتاجها الأم، وتلبية كافة رغباتها، وتغيير نوعية حياتهم وحياتها.

فتسرد تجربتها قائلة : *"أبويا كان بيشتغل في شركة البيرة، وأمي كانت ربة منزل، وكان دخل أبويا على أده، وطول عمري كان عندي حاجات كتير في نفسي محتاجة أعملها وماكنتش بعرف بسبب الظروف، وكان عندي (٧) أخوات، وكل منهم له متطلبات واحتياجات، ولما عجز عن إنه يحقق لنا كل حاجاتنا خلانا نسيب المدرسة، وأخواتي الصبيان نزلوا اشتغلوا، ولما كبرنا بقينا نتكسف إننا مش متعلمين، وبعد ما اتجوزت كنت فاكرة إن الحياة هتكون أفضل لكن في الحقيقة الحياة ما اختلفتش كتير نفس الظروف القاسية، ونفس الشعور بالحرمان"."بس أنا قررت ما أعملش زي أبويا وأقعد ولادي من المدرسة حرام يشوفوا اللي أنا شفته، وماكنش أودامي حاجة تغير من حياتي غير اهتمامي بتعليم ولادي، هو الحاجة اللي هتعمل لهم قيمة، إن ولادي يفرحوا بمشي رافعة راسي."* وتزيد في وصف صعوبات الإنفاق على التعليم:

"وماكنتش الدنيا سهلة ماكنتش بيبقى معايا فلوس، واللي عايز لبس، واللي عايز أدوات، واللي عايز مصاريف، كنت استلف وأعمل جمعية، وفي ناس جيراني ساعدوني وناس من أهلي وفي واحد صاحب مكتبة هنا ده ربنا هيجازيه كل الخير علشان وقف جنبي جدًا جدًا كنت باخد منه فلوس وأرجعها براحتي من غير ضغط ربنا يكرمه".

هكذا تبين من قراءة تجارب الحالات أن التعليم يُعد من أبرز آليات الحراك الاجتماعي، فهو كما ظهر في الدراسات السابقة شكل من أشكال الاستثمار طويل المدى يتجسد في الثروة البشرية، ويدر عوائد اقتصادية قادرة على تذويب الفوارق الاجتماعية والطبقية بين شرائح المجتمع، وهو ما عبر عنه "بورديو" بنمط العلاقات الجدلية بين أشكال رأس المال النوعي.

٢- آلية المهنة:

كشفت الدراسة الميدانية عن قدرة المهنة على تحرك أفراد الشريحة الدنيا اجتماعيا واقتصاديا عن مكانة أسرهم الاجتماعية والاقتصادية ومن أبرز القصص الميدانية المعبرة عن ذلك: قصة أبو كريم(١)، ويبلغ من العمر (٧٥) عامًا، حصل على الشهادة الابتدائية كشهادة تعليمية، ونشأ في أسرة بسيطة من أصول ريفية بمحافظة الشرقية لأب وأم بسطاء، لم يحصلا على أية شهادة تعليمية ولم يملكا سوى عربة يد صغيرة لبيع الكشرى، وقد ورثها منهما بعد أن توفاهما الله وهو في سن الثانية عشر من عمره ليجد نفسه مسؤولاً مسئولية تامة عن أخيه الأصغر، وأخذ قرار بأن يترك المدرسة ويمتهن مهنة والده ؛ ليتمكن من الإنفاق على تعليم أخيه، وأخذ ينتقل بعربته في وسط القاهرة ؛ لبيع الكشري وظل يعمل إلى أن نجح في ادخار مبلغ من المال ودفعه لمشاركة أحد معارفه في شراء مقهى كان في مكان المحل الموجود الآن، وحول نشاطه لمحل بيع الكشري، معتمدًا على خبرته في هذا المجال، ومحققًا لحلمه بأن يحوله إلى مول كشري – على حد قوله – بات قبلة لكل السائحين والعديد من الشخصيات المهمة والشهيرة، سواء من المصريين أو الأجانب. وتمكن بذلك من تحقيق صعود طبقي مغيرًا الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية التي عاشها في أسرته الأولى.

" إحنا كنا عايشين مع أبويا وأمي الله يرحمهم، وكان أبويا عنده عربية كشري وبعدين أبويا وأمي توفاهم الله ولاقيت نفسي مسؤول عن أخويا الصغير، وخليته يكمل تعليمه، وسبت أنا المدرسة، وكل الناس كانت شايفة إن أنا هافشل لكن ربنا ماسابنيش، اشتغلت بعربية أبويا في القاهرة هنا في حى معروف، أودام القهوة اللي هي بقت محل الكشري بتاعي دلوقتي، وقعدت أحوش كل مليم لحد ما قدرت اشتري القهوة مع شريك من معارفي، وبعد ما توفى الله يرحمه اشتريت نصيبه من الورثة وحققت حلمي إني بقى عندي مول كشري.. وسر نجاحي إني كنت بميز نفسي في الشارع وفي السوق وكنت باقدم طبق كشري مختلف، وبعدين ابني الكبير شار عليا إني أدخل مسابقة موسوعة جينيس العالمية، فدخلنا بأكبر طبق كشري كان وزنه ٨ آلاف كيلو، وقطره ١٠ متر،

(١) حالة رقم (١).

والحمد لله بدعاء أمي وأبويا و رضا ربنا حياتي اتغيرت، وقدرت أعلم ولادي كلهم اتنين منهم معاهم سياحة وفنادق، وابني الثاني معاه ماجستير إدارة أعمال، وابني الثالث اتخرج من الجامعة الأمريكية".

ونموذج حالة كريمة[١] وهى امرأة بلغت من العمر (٦٠) عامًا وكانت تجربتها ثرية جدًا في توضيح دور المهنة في تغيير الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأفراد، وخاصة عندما يصاحبها المزيد من الإصرار والطموح، نشأت كريمة في أسرة يتكون أفرادها من ٩ أفراد بسطاء، يعمل الأب والأم كمزارعين في الأراضي الزراعية بمحافظة الفيوم، وكانت تعمل هي وأخواتها الذين لم يلتحقوا بالمدرسة نهائيًا ؛ لعدم قدرة آبائهم على الإنفاق التعليمي ومصروفاته اللامتناهية نفس عمل الأب والأم، هذا العمل الذي لا يدر إلا الدخل البسيط الذي لا يزيد عن ٢٠ جنيه يوميًا. تزوجت في سن مبكرة وهى في الرابعة عشر من عمرها لرجل بسيط يقوم ببيع الخضار في الأسواق، وقد تعاونا معًا في هذا العمل المتواضع، ولكن كان يكمن بداخلها دوافع كثيرة تدفعها إلى الطموح وتغيير نوعية الحياة التي تعيشها، وبدأت مشروعها بعشرة جنيهات.. اشترت بها مستلزمات تمكنها من بيع الخضار بصورة مستقلة عن زوجها ثم بالإدخار تدرج العمل من بيع الخضار في الأسواق، إلى استإجار محل، إلى شراء المحل، ثم تحويل نشاطه إلى بيع الأسماك، ومن هنا بدأت عملية الحراك الاجتماعي تظهر في حياة كريمة بعد أن بدأ دخلها اليومي يرتفع من بيع الأسماك.

"أبويا وأمي كانوا بيبيعوا الخضار، وأنا وأخواتي كنا معاهم بنساعدهم، وكنا مش لاقيين ناكل، طول عمرنا شقيانين، من صغري وأنا بلف معاهم في الغيطان، كنا بنلم رجلة من الزرع، واتجوزت وأنا عندي ١٤ سنة، والحياة ما اتغيرتش كتير، كان راجل على أده، وبرده بيشتغل في السوق معانا، وفي يوم لاقيت عشرة جنيه، أخدتها واشتريت طشت وقررت أبيع خضار لوحدي في الطشت ده، وقولت أنا لازم أبعد عن شغلي معاه، وأكون حرة مالي. أقدر أحوش علشان أعمل اللي في دماغي، أنا مقررة إني مش هكمل حياتي في الفقر ده، من فقر أبويا وأمي لفقر جوزي، تعبت لما لاقيت ولادي مش

(١) حالة رقم (١٢).

لاقيين ياكلوا ولا عارفين يعيشوا، أنا عندي ثلاثة ولاد مسؤولة عنهم، ووقفت في السوق وبقيت أبيع واشتري وأحوش لحد ما أجرت المحل ده، وخليته محل سمك ولما الفلوس جريت معايا اشتريته، واشتريت بيتنا، وجوزت ولادي، وخلتهم يشتغلوا معايا في المحل، وعملت لكل واحد فيهم شقة ملك والبنت زي الولد أنا قدرت أعمل اللي الراجل معملوش".

٣- آلية الزواج

الزواج هو أحد أشكال العلاقات الاجتماعية التي تعبر عن رأس المال الاجتماعي الذي يمتلكه الشخص بصورة تجلب عليه الفوائد المادية والرمزية كما حددها "بورديو"، إذ رأى أن رأس المال الاجتماعي يتشكل من خلال ما يؤسس الأفراد من روابط وعلاقات اجتماعية تسمح لهم بالحصول على موارد اقتصادية تساهم في تغيير وضعيتهم الطبقية بصورة أكبر، وعليه برز الزواج بين شريحة الفقراء كآلية من آليات الزحف الطبقي الصاعد، فكان أحد الوسائل التي لجأوا إليها ذكورًا وإناثًا ؛ للسعي للاستفادة مما يتمتع به شريك الحياة – الذي ينتمي بطبيعة الحال إلى شريحة اجتماعية وطبقية أعلى – من مزايا اقتصادية وأخرى مرتبطة بمحددات المكانة الاجتماعية، ومن بين حالات الذكور الذين لجأوا لهذه الآلية هو عبد الله [١] مؤكدًا أن مرحلة الزواج من المراحل الهامة في حياته والتي أحدثت نقلة نوعية فيها بعد أن ارتبط بفتاة ثرية تقطن بأحد أحياء مدينة نصر تعمل معه بمهنة الهندسة، وبدءا حياتهم الزوجية معًا بمؤشرات مكانية واقتصادية واجتماعية مغايرة تمامًا لحياته في أسرته الأولى.

"أنا ارتبطت بزميلتي مهندسة، كانت بتشتغل معايا في الشركة، وكانت من عيلة مرتاحة ماديًا وأنا باعتبرها من أهم المحطات في حياتي ؛ لأنها إنسانة جدعة جدًا وقفت جنبي من أول يوم ارتبطت بيها، وإن هى تقبل إننا نتجوز في شقة إيجار ده كان تنازل منها ؛ لأن هما كعيلة في غنى عن ده وكل بنات عيلتها محدش اتجوز في إيجار خالص، وأخدت شقة في الرحاب ؛ ولأنها إنسانة طموحة ومدعمة وطموحة بعقلانية كانت بتساعدني ووقفت في ضهري إيدها في إيدي لحد ما قدرنا واشترينا بيتنا

(١) حالة رقم (٤).

في مدينتي، وهى اللي كانت دافعة التقديمة، هى راهنت عليا أودام أهلها وأعتقد إني ما خذلتهاش".

ومن بين الحالات من الإناث هيام[١]، والتي انتمت إلى أسرة فقيرة من ضواحي محافظة الجيزة وبلغ عدد أفرادها (٧) أفراد، عاشوا في شقة إيجار لم تتجاوز مساحتها ٥٠ متر، مع أب وأم وأخوات لم يحصلوا على أي شهادة تعليمية، وكان الأب يعمل سائقًا بدون دخل ثابت، وكان دخله يقل عن ٥٠ جنيهًا يوميًا، وفي ذات يوم بعد أن أكملت هيام مرحلتها التعليمية بالجامعة – إذ هي الوحيدة من ضمن أخواتها التي تمكنت من الحصول على ليسانس الحقوق – قررت أن تتزوج ؛ أملاً منها في تغيير المستوى الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعيش فيه في أسرتها الأولى وبالفعل تمكنت من تحقيق ذلك وتزوجت من شاب ليس مصريًا من أبناء الطبقات الثرية ؛ ليحدث في حياتها تغيرًا طبقيًا واضحًا حيث انتقلت للعيش معه في عقار سكني ملك له بالمعادي وتمكنت من تحقيق كافة طموحاتها الطبقية من خلاله:

" أنا عشت حياة صعبة في بيت أبويا كان عنده استعداد يخلينا نشتغل أي حاجة المهم نصرف على نفسنا أنا كنت باننزل أشتغل أنا وإخواتي أي حاجة في المحلات والكوافيرات وبأي ثمن علشان نقدر نصرف على نفسنا لكن أنا فكرت صح قولت لنفسي أسهل حاجة إني أتجوز واحد غني ويحقق لي كل طموحاتي، وعملت فعلا كده وطلع كلامي صح وارتحت".

وسارة [٢] كانت تنتمي إلى أسرة بسيطة يبلغ قوامها (٩) أفراد، وكان الأب أرزقي يعمل "تباع" في ميكروباص أجرة، وكانت الأم سيدة بسيطة جلست في البيت ؛ لتربية الأولاد، وكانت سارة طموحة بصورة جعلتها لا ترغب في الاستمرار في العيش في هذه الأسرة المتواضعة، ولم يساعدها في تجاوز ذلك سوى التفكير في الزواج، فهى لم تكن تمتلك من المهارات والشهادات ما يؤهلها ؛ لاغتنام أى فرص أخرى للحراك الاجتماعي. وبالفعل تزوجت من رجل أعمال لديه شركة تجارية بسيطة وأقنعته بتغيير

(١) حالة رقم (٧).

(٢) حالة رقم (١١).

نشاطه ليصبح شركة لتأجير السيارات، وتمكنا معًا من تغيير حياتهم تمامًا وأصبحت من مجرد مشرفة في مدرسة لمالكة بالشراكة مع زوجها لشركة تأجير السيارات، ولقطعة أرض كبيرة تتمنى أن تفتح فيها مشروعًا أكبر يحقق ما تبقى من طموحاتها الطبقية التي لاتنتهي.

"أنا لاقيت نفسي عايشة حياة صعبة، ومش معايا غير الدبلوم ها اشتغل بيه ايه؟ فكرت إن لازم أتجوز جوازة مرتاحة علشان أرتاح بقية عمري، وفعلاً أول ما جوزي اتقدملي ولاقيته مبسوط ومعاه شركة حتى ولو صغيرة قولت أوافق على طول، وفكرت له إننا نعمل الشركة لتأجير العربيات، مع الجمعيات والتحويش، قدرنا نغير حياتنا واشترينا أرض عند طريق سقارة بـ٤٠٠.٠٠٠ ألف جنيه، وبعمل جميعات بتوصل لـ ٥٠.٠٠٠ألف جنيه، ولسه هاعمل أكتر من كده لازم الواحد يروح يمين وشمال ويقلب عيشه".

٣- آلية الهجرة

تعبر عن الحراك الفيزيقي والتنقل عبر الأمكنة ؛ بحثًا عن أماكن للعمل مختلفة ومتنوعة، وأفضل مما هو متاح وتعد من الآليات التي لجأ إليها أفراد الشريحة الدنيا أيضًا في زحفهم الطبقي للبحث عن فرص عمل أفضل، ومن ثم دخل اقتصادي أعلى . وتفرق الدراسة بين نوعين من الحراك المكاني أو الهجرة هما :

أ – هجرة مؤقتة لم تتجاوز فترة عامين.

ب- هجرة دائمة.

أ- هجرة مؤقتة

ظهر هذا النوع من الهجرة عند هيثم(١)، وقد قام بها لمدة قصيرة لم تتجاوز العامين ؛ رغبة منه في تحسين وضعه الاقتصادي وعاد إلى مصر وبدأ حياته بطريقة مختلفة، معتمدًا على المكاسب المادية التي حصل عليها حينما سافر للعمل في السعودية كمهندس معماري، حيث حصل على بكالوريوس الهندسة، وكان ينتمي إلى أسرة متواضعة، يعمل رب الأسرة فيها فني صناعي، بدخل لا يزيد عن ١٥٠٠ جنيه

(١) حالة رقم (٥).

شهريًا، وأم ربة منزل، واثنان من الأخوات . وتوجه هيثم بعد نجاحه في كلية الهندسة إلى السفر مباشرة خارج البلاد ؛ لكى يدبر من الأموال ما يمكنه من بداية حياته في موطنه الأصلي مصر بسهولة، وبالفعل تمكن من ذلك وسرعان ما عاد ؛ ليفتح شركة الهندسة الخاصة به، ويعيش مع زوجته وأبنائه ويرعى أبويه على حد قوله : " *عشنا في بيت بسيط، كنا بنجيب أكلنا وشربنا بالعافية، فكان لازم نكون أحسن من حياتنا اللي عشناها، بعد ما اتخرجت قررت أسافر أعمل قرشين، والحمد لله لاقيت شغل في السعودية بسهولة، ما فكرتش، سافرت على طول وحوشت مبلغ يخليني أقدر ابتدي، ورجعت وفتحت الشركة، واتجوزت، واخد بالي من أمي وأبويا ومش حارمهم من حاجة ربنا يخليهم*".

هكذا تمكن هيثم من تغيير الوضع الطبقي ليس على مستوى أسرته النووية فقط، وإنما تمكن من تغيير الوضع الطبقي لوالديه أيضًا. وهذا يدل على أن الأفعال والممارسات الاجتماعية الفردية التي تستهدف التغيير الاجتماعي الإيجابي ممكن في النهاية أن تؤدي إلى تحسين الوضع الطبقي، ومن ثم الصعود إلى أعلى.

ب – هجرة دائمة

ظهر هذا النوع من الهجرة لدى عبد الله[١] الذي هاجر إلى أستراليا، وحصل على الجنسية، واستقر هناك بصورة نهائية ؛ لأنه وجد أن نوعية الحياة والعمل والدخل والمسكن والبنية الإيكولوجية أفضل بكثير من الاستمرار في العيش في بلده مصر.

" *أنا في الأول كنت متخوف من السفر والهجرة، لكن اللي شجعني زوجتي؛ لأنها طموحة قالتلي هنعيش حياة أفضل وأحسن في كل حاجة، هناك في فرص عمل، وفي خدمات كتير، ويهتمون بالمواطن، له قيمة، وفعلا سمعت كلامها ومش ندمان الصراحة*".

يتبين من قراءة الأحداث والمواقف الحياتية التي مرت بها حالات الدراسة، ومن خلال رصد أهم الآليات التي أوجدتها ؛ لتحقيق الحراك الاجتماعي المتمثلة في:آلية التعليم وآلية المهنة وآلية الزواج، وآلية الهجرة أن نمط الحراك الاجتماعي

(١) حالة رقم (٤).

السائد فيما بينهم هو نمط الحراك الاجتماعي الصاعد، وأنهم رغم تدني أحوالهم وحرمانهم من الموارد قادرون على ممارسة الحراك الاجتماعي والتنقل الطبقي.

وأن الحراك الاجتماعي لديهم يعبر عن قدرات ومحاولات فردية لجأوا إليها من أجل تحسين نوعية حياتهم. كما تبين أيضًا كيف يبتدع الأفراد ويبتكرون أفعالاً مختلفة وخلاقة يسهمون بها في تشكيل واقعهم؛ فهم لديهم القدرة على الفعل الابتكاري الخلاق القادر على تشكيل واقعهم على الدوام عبر ما يتخذونه من قرارات، وما يقومون به من تصرفات. فالواقع ليس أمرًا ثابتًا وساكنًا ومفروغًا منه، بل إنه يخلق ويشكل ويعاد تشكيله خلال التفاعلات البشرية، أو كما أقر بورديو "الممارسة الاجتماعية".

حادي عشر : الأبعاد الموضوعية والذاتية لعملية الحِراك الاجتماعي لدى الفقراء

إن الحِراك الاجتماعي لدى شريحة الفقراء حين يأخذ شكلاً من أشكال الزحف الطبقي على المدى الطويل يُعد تعبيرًا واضحًا عن الممارسة الاجتماعية التي تتولد تحت تأثير العلاقة التفاعلية الدينامية بين الظروف الموضوعية التي عاشوها وبين ذواتهم الفاعلة؛ لذلك تحاول الدراسة في فهمها لهذه العملية الانطلاق من محاولات بورديو في الوصول إلى نقطة توازن تفسيري بين فهم الخصائص الموضوعية للسياق، وخصائص الفاعلين الاجتماعية.

١- الخصائص الموضوعية للسياق

يقصد بها الخصائص الاقتصادية للهابيتوس الخاص بالأسرة المعيشية الأولى التي نشأت فيها حالات الدراسة، ومدى رضاهم عنه، والكيفية التي أثرت هذه الخصائص الموضوعية في قراراتهم الخاصة بتغيير نوعية الحياة.

أ- الأوضاع الاقتصادية الخاصة بالأسرة المعيشية الأولى:

بالرجوع إلى جدول الخصائص الديموجرافية لحالات الدراسة، يمكن ملاحظة تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية للأسر التي نشأوا فيها، والتي شكلت لديهم هابيتوس خاص مرتبط بندرة الإمكانيات، وكافة أشكال الحرمان الاجتماعي، وقد أجمعت حالات الدراسة على ذلك، ومن النماذج المعبرة عن هذه الحقيقة أبو

كريم[١]:*أنا أبويا وأمي كانوا غلابة جدًا، وماكنش حد فيهم متعلم، وماكنش حيلتهم غير عربية الكشري دي، وللأسف ماكنش في دخل ثابت، يعني لو حد تعب أو مرض، مش هيلاقوا يصرفوا علينا."*، عبد الله[٢]: *أنا تعبت من صغري من فكرة إن أبويا وأمي بيقضوا اليوم بيومه، يعني كانت أمي كل يوم تقف جنب الشباك وتدعي عاوزة ٢٠ جنيه علشان اليوم يمشي، كنت بسأل نفسي طيب لو العشرين جنيه دول ماجوش الست دي هتعمل إيه؟!".*

وتؤكد كريمة [٣]: *"أبويا وأمي وأخواتي اتحرموا من كل حاجة نفسهم فيها، وأنا كمان تعبت من إحساس إنهم صعبانين عليا".*

ب- الرضا عن الأوضاع الاقتصادية الاجتماعية للأسرة المعيشية الأولى

عبرت حالات الدراسة جميعا دون استثناء عن عدم الرضا عن كافة الأوضاع الاقتصادية والمعيشية الخاصة بأسرتهم الأولى، مؤكدين على أن ندرة الإمكانيات والموارد المادية، وما تبع عنها من حرمان شديد على كافة المستويات كان بمثابة الدافع الرئيسي لإيجاد الطرق التي تمكنهم من الفكاك من هذه الأوضاع، فيؤكد هيثم[٤]: *"ببساطة شديدة كل المرار اللي أهلي مروا بيه أنا مش هأقدر أمر بيه، كنت باستغرب صبرهم وقدرتهم على التحمل، لكن أنا قررت من أول لحظه إني مش هاكمل في الوضع ده بأية طريقة".*

وتزيد هيام[٥] – *"أنا ماكنتش راضية عن حياتهم خالص ؛ لأنهم كانوا عايشين بصعوبة، وحياتنا كانت مش سهلة، وكمان كانوا مش متطعلين، وكمان أبويا معندوش تخطيط ومقدرش يسترنا، ويحمينا، وخرجنا من بدري أنا وإخواتي علشان نشتغل، فقلت في نفسي لازم أغير حياتي وأعيش حياة أريح من كدة علشان لو فضلت كده هاتعب طول عمري".*

---

(١) حالة رقم (١).
(٢) حالة رقم (٤).
(٣) حالة رقم (١٢).
(٤) حالة رقم (٥).
(٥) حالة رقم (٧).

٢- الخصائص الذاتية للفاعلين

مصطلح الذات في علم الاجتماع مستمد من فلسفات كل من "تشارلز كولي، ووليام جيمس، وجورج ميد"، وغالبًا ما يعبر هذا المفهوم عن الكيفية التي يرى بها الأفراد ذواتهم في عيون الآخرين، ويعرف "روزنبرج " مفهوم الذات بأنه مجموعة من أفكار ومشاعر الفرد عن نفسه كموضوع للتأمل، ومما لاشك فيه أن هذه الأفكار لا تتشكل من فراغ، فكما يرى "هوسرل" في فكرته عن الإحالة : أن إدراك الذات والوعي بها هو شعور دائم بشيء، فيرفض أن يكون الوجود البشري في كل "ذاتية" مغلقة على نفسها، بل هو حقيقة متفتحة على الوجود العام، فهذه الذات البشرية بكل عواطفها وميولها ومقاصدها، موجهة نحو العالم الخارجي، فدائما وأبدًا هناك عملية جدلية تتم في كل لحظة من حياة هذه الذات، فكما يرى "فيورباخ" الديالكتيك ليس مناجاة داخلية يمارسها فكر منعزل بل هو حوار بين الأنا والأنت. (عبد الحافظ، ١٩٩٦، ص١٥٤). أو بمعنى آخر فإن الرؤية للذات وإدراكها يتشكلان في ضوء الرؤية للآخر، ورؤية الآخر لهذه الذات ؛ لذلك فإن التعرف على الخصائص الذاتية للفاعلين الفقراء لا يتأتى إلا من خلال التعرف على العناصر التالية:

١- رؤية الذات

تتشكل رؤية الذات في ضوء العوامل التالية

أ- الخصائص الذاتية

حاولت الدراسة التعرف على الكيفية التي ترى بها حالات الدراسة ذواتهم والعلاقة بين هذه الرؤية وبين قدرتهم الذاتية على الحراك الاجتماعي، فتبين أن الطابع العام لرؤيتهم لذواتهم طابع إيجابي يشتمل العديد من الخصائص، والسمات الذاتية الإيجابية التي لولا تواجدها ما أقبلت هذه الحالات على وضع آليات متعددة للحراك الاجتماعي الصاعد، ومن أهم هذه السمات:

- **النجاح**

ظهر كسمة رئيسية تمتاز بها حالات الدراسة فيقول نبيل[١] : *أنا باشوف نفسي إني شخصية ناجحة، بحب النجاح وآخد بأسبابه، أنا لا أقبل الفشل، ولو الحاجة مامشيتش بالطريقة اللي أنا عاوزها وتنجح زي ما أنا عاوز أجرب بطريقة تانية".*

- **المرونة**

أي القدرة على تطويع الواقع للرغبات والأهداف المراد تحقيقها، وظهرت هذه السمة بوضوح عند مروة[٢] :*"أنا مش بيأس بسهولة أنا عندي أهداف أحققها معرفتش بالطريقة دي أجرب بغيرها، لازم أتعلم أبقى مرنة أنا أول ما بدأت أدخل في مشاريع خسرت، أول مشروع كان صفقة تونة مستوردة، وبعدين طلعت درجة ثالثة، استحرمت أنزلها السوق، عملتلها إعادة توريد وخسرت نص فلوسي، عادي لازم أتقبل الظروف الصعبة وأفكر إزاي أغيرها، وبعدين اشتغلت في السياحة واتقفلت كلها ساعة الثورة، عادي برده، آخر مفتاح في الميدالية هو اللي ممكن يفتح ويحقق حلمك، فضلت أجرب لحد ما فكرت في بيع قطع غيار الهيدروليك، وهو ده المشروع اللي كان وش الخير عليا".*

- **الإبداع**

هو الإتيان بشيء جديد أو التعامل مع الأشياء المألوفة بصورة جديدة وبطريقة غير مألوفة، وهذا ما ظهر بالفعل لدى مروة[٣]. فتوصف ذاتها قائلة *أنا لما أحب حاجة أبدع فيها وأوجدها من العدم، ومافيش حاجة تقدر توقفني، هي قاعدة كده حطتها في دماغي إن سقف طموحك على أد حلمك، ولو الطرق العادية منفعتش جرب واخترع طرق تانية، أنا عمري ماكنت أتخيل إني أقف في سوق في الشارع بين الرجالة وأكون تاجرة في قطع غيار الهيدروليك هنا في السوق كل الرجالة كانوا مستغربني".*

---

(١) حالة رقم (٣).

(٢) حالة رقم (١٠)

(٣) حالة رقم (١٠).

- **المسؤولية**

كانت هذه السمة من أهم ملامح تكوين رؤية الذات عند بعض الحالات، ومن أبرزها عبد الله[١]:"*أنا إنسان مسؤول وأهتم بأدق التفاصيل، كان عندي التزام من نفسي كده إني أخلص كل اللي ورايا، أذاكر،أشتغل، ما أرتحش غير لما أخلص مسؤولياتي كلها وأخلص اللي ورايا كله*".

- **إتقان العمل**

أداء العمل على أكمل وجه سمة مرتبطة برؤية الذات ونجاحها وتقدمها عند الحالات، وخاصة أبو كريم[٢]: "*أكتر حاجة بتميزني، وخلتني أميز شغلي في السوق، وأكتسحه هى إني باتقن عملي، من الساعة خمسة الفجر آجي أدخل المطبخ وأتابع كل حاجة بنفسي، وأتابع كل الشغل، مش بحب أعمل لإيدي واصلة كل حاجة بنفسي وده سر النجاح*".

- **التقوى**

تقوى الله من الخصائص التي أكدت حالات الدراسة بأن توافرها في الذات،أو التحلي بها في المعاملات من مفاتيح النجاح، ومن أبرز النماذج المعبرة عن ذلك أبو كريم [٣] : "*إنك تتقي الله من الصفات النادرة، وأنا علشان كنت باتقي الله، وأشتري أحسن أنواع الرز والطماطم والمكرونة وأراعي ربنا من الغش ربنا فتح لي أبواب الفرج والرزق الكثير*"، ويؤكد سليم[٤] على المعنى ذاته: "*لو عاوز أنجح أتقي ربنا، الأبواب كلها تتفتح*".

الثقافة:

تشكلت رؤية الذات لدى حالة من حالات الدراسة في ضوء معيار الثقافة بمعنى أنه وصف ذاته بأنها مثقفة، وأن ذلك من أهم عوامل قدرتها على التغيير، وأن

(١) حالة رقم (٤).
(٢) حالة رقم (١).
(٣) حالة رقم (١).
(٤) حالة رقم (٢).

تكون شخصية مثقفة – من وجهة نظر هذه الحالة – يعني أن تكون شخصية على وعي بالقضايا والمشكلات المجتمعية ومهموم بها بدرجة كبيرة، بل وقارد على المساهمة في حلها ولو بوسائل بسيطة، فيقول سليم(١):

" أنا أكتر ميزة فيا بتشجعني على المشاركة وتغيير وضع اللي حواليا هو إني من وأنا صغير مثقف وواع ودايما باشترك في الحاجات المهمة زي مشروع القراءة للجميع تبع قصور الثقافة، كان لازم أروح يوم الجمعة، وفي الإجازات، وأروح (٣) أيام في الأسبوع أنشطة كرة وشطرنج، وكنت بشارك على طول في الأنشطة الطلابية والتثقيف، وكنت دايما مهموم مش بتغيير حياتي للأحسن، أنا كنت مهموم بتغيير المنظومة التعليمية كلها إزاي أفيد الناس، وإزاي البلد دي تبقى أحسن ومحدش يسيبها ويهاجر، وكملت أفكاري لحد ما وصلت في الجامعة واشتركت في نموذج جامعة الدول العربية؛ لتغيير فكر الطلاب وكان النموذج ده بيطبق في كلية سياسة واقتصاد،وكنت من المشاركين فيه".

الطموح

هي السمة الغالبة على الحالات، فلولا وجود هذه السمة في شخصياتهم، ما تحقق لهم الحراك الاجتماعي الصاعد في ظل الندرة، فيقول أبو كريم(٢): "*أنا بدأت بالشغل على عربية الكشري وكان عندي طموح كبير إن يكون عندي مول كشري، ولولا الطموح ده ماكنش حاجة حصلت، أنا مشهور جدًا كفاية إني قنوات كبيرة زي MBC , CAN والقنوات في دبي بييجوا علشان يعملوا معايا لقاء والعرب والأجانب كلهم بييجوا هنا*"، ويزيد أحمد(٣): "*أنا طموح جدًا جدًا، وانتظروا مني القادم هيكون أفضل، هافضل أشتغل على نفسي لحد ما أكون وزير خارجية*".

(١) حالة رقم (٢).

(٢) حالة رقم (١).

(٣) حالة رقم (٦).

وتضيف كريمة[١]: *" أنا طموحي عال، ولو مافيش طموح كان زماني لسه بلم رجلة في المزارع زي أبويا وأمي"*، وعلى المعنى ذاته تؤكد مروة[٢]: *"أنا عندي طموح مخليني ممكن آكل الدنيا، حلمت بفيلا أخلي ولادي يعيشوا فيها زي ماري منيب ونفذت الحلم، الطموح عندي فطرة ومالوش نهاية، أنا حاسة إني يادوب بدأت أحقق أحلامي، أنا بخطط آخد توكيل تجميع عربيات.*

- التخطيط

أي إدارة الحياة بطريقة منظمة وواعية ومقصودة ؛ لتحقيق الأهداف المستقبلية، وتبلورت القدرة على التخطيط كسمة رئيسية امتازت بها بعض حالات الدراسة، ومنهم هيثم[٣] : *أنا شخصية بتعرف تخطط كويس علشان أحقق أهدافي، فمن أول لحظة وأنا مخطط إني أذاكر وأتعلم وأشتغل كويس علشان حياتي وحياة ولادي تكون أحسن وأفضل"*.

- المخاطرة

إن القدرة على الإقدام والجرأة على اتخاذ القرارات التي تحمل بين طياتها عنصر المخاطرة، كانت واحدة من السمات التي رأت إحدى الحالات أنها تتميز بها، وهى سارة[٤] : "*مافيش حاجة تخلي الواحد يغير حياته غير إنه يخاطر ويجازف وأنا وجوزي فينا الصفتين دول وهو بيشجعني، يعني أنا يمكن أخاطر وأعمل جمعيات كبيرة وأصرفها وأرجع أضبط الدنيا تاني ومرة من جمعية قدرنا نشترك في مناقصة كبيرة بـ ٤٠٠٠٠٠ جنيه لشركة الشرقية للدخان سنة ٢٠١٦ ورسيت علينا وفرقت معانا جدًا"*.

تبين من خلال رؤية حالات الدراسة لذواتهم، وللصفات التي يتحلون بها أن الطابع العام لهذه الرؤية طابع إيجابي مكنهم من تحقيق حراك اجتماعي صاعد عن طريق النجاح، والمرونة، والقدرة على الإبداع وتحمل المسؤولية، وإتقان العمل وتقوى

(١) حالة رقم (٢).
(٢) حالة رقم (١٠).
(٣) حالة رقم (٥).
(٤) حالة رقم (١١).

الله، والاهتمام بالقضايا المجتمعية والطموح والتخطيط وعنصر المخاطرة وكل ذلك على عكس ما ساد في الدراسات المهتمة بالثقافة الفرعية الخاصة بجماعة الفقراء الداعية إلى أنهم أشخاص كسالى لا يطمحون ولا يبادرون ولا يخططون، وإنما بالكاد يفكرون في كيفية الحصول على قوت اليوم، وهذا إن دل فيدل على أن الممارسة نشاط إنساني يقوم به الفاعلون القادرون على صنع الاختلاف، وأنها ليست قدرة ذوات متعالية، وإنما قدرة فاعلين نشطاء مكافحين قادرين على صنع الاختلاف، وأن هذه الممارسة ليست حكرًا على طبقة أو شريحة اجتماعية دون غيرها كما أكد "بورديو".

ب – الرضا عن الذات:

يعتبر مؤشر الرضا عن الذات من المؤشرات الهامة الدالة على الرؤية التقييمية الذاتية التي يتمكن الفرد في ضوئها من الحكم على ذاته وتطويرها وتنميتها وبينت حالات الدراسة جميعها أن الرضا عن الذات مرتبط بمدى ما تحقق لديهم من أهداف؛ ولذلك شعرت الحالات بعدم الرضا عن ذواتها لأن هناك المزيد من الأهداف التي لم تتحقق بعد، فهم مازالوا يطمحون إلى تحقيقها.

فيسرد سليم(١): *" الحمد لله الرضا موجود بكل ما قسمه الله، الرضا لمن يرضى، وأنا وصلت لتحقيق حاجات كتير أحلام لناس تانية، لكن مش راضي على إني لازم أكون أفضل وأحقق أهداف أكتر من كده"*، ويزيد عبد الله(٢): *" مش هارضى عن كل حاجة طبعًا، في أجزاء راض بيها، وأجزاء مش هارضى غير لما أطورها وأنميها، يعني مثلاً مش هارضى غير لما أخرج من دايرة إني بشتغل في شركة حد أو عند حد أو موظف عند حد".*

تضيف مروة(٣): *"أنا مش هارضى غير لما أوصل لكل حاجة حلمت بيها، أنا هافضل أحلم وأحقق ومش هتفرق معايا أحقق أحلامي في سن ٥٠ ولا ٦٠، و لا أكثر المهم تتحقق".*

---

(١) حالة رقم (٢).

(٢) حالة رقم (٤).

(٣) حالة رقم (١٠).

بالنظر إلى الطابع العام الإيجابي لرؤية الحالات لذواتهم، والعلاقة الارتباطية بين الشعور بالرضا عن الذات، وبين الأهداف المحققة؛ يتبين أن شريحة الفقراء؛ لكي تأخذ قرارات فاصلة في حياتهم من أجل الصعود الطبقي،لابد أن يكون لديها ذات واعية بالوضع الطبقي وإدراك بالمصالح الطبقية والأهداف المراد إنجازها والظروف والأوضاع المتعلقة بالقدرة على الترقي والتقدم.

٢- رؤية الآخر

تنعكس من خلال المؤشرات التالية:

أ – معايير الحكم على الآخر

تبلورت أهم معايير حكم حالات الدراسة على الآخر سواء من أفراد شريحتهم الاجتماعية أو من أفراد الشرائح الاجتماعية الأعلى في عدة معايير تتمثل فيما يلي :

- المعايير الأخلاقية

حازت المعايير الأخلاقية كمعيار للحكم على الأفراد على آراء الغالبية من حالات الدراسة وأجمعوا على أنهم يستندون إلى هذا المعيار عند انتقائهم للأفراد الذين ينخرطون معهم في علاقات اجتماعية وأنه لا فرق بين فقير أو غني في ذلك، من أمثلة آرائهم ما قاله "عبد الله"[١]:

" أول حاجة على أساسها اختار صحابي، هى الأخلاق والاحترام، وأصحاب القلوب النظيفة، بعد كده كله سهل، قلبك نظيف ومتربي العلاقة هتنجح ربنا قال لازم الغل يتنزع الأول، لكن لو معاه فلوس ومش متربي ها استفيد ايه"، ويزيد "سليم" [٢]:

" أهم حاجة الأخلاق، الأخلاق هتتحول لطاقة وعمل وإخلاص وحب هتترجم لكل حاجة، لكن الفلوس دي بتروح وبتيجي" وتضيف "سارة"[٣]: *احترام الناس من احترام النفس، لو البني آدم محترم هيحترم غيره، والعلاقة المريحة هي العلاقة المبنية على الاحترام".*

---

(١) حالة رقم (٤).

(٢) حالة رقم (٢).

(٣) حالة رقم (١١).

- معايير النجاح في الحياة

جاءت هذه المعايير في المرتبة الثانية لآراء الحالات، فأكد معظمهم على أن أهم شرط من شروط اختيار الأصدقاء والأفراد للتعامل معهم أن يكونوا ناجحين في حياتهم، فيقول "هيثم"(١): *"أنا بأحكم على الشخص من نجاحه، أحب اختلط بالبني آدم الناجح وبالذات في البيزنس، اللي مش ناجح ده هيأثر عليا"*، وتزيد "مروة"(٢) *"أقرب من الناس الناجحة، المجتهدة، اللي عندها طاقة وحماس ورغبة في الشغل، لو ابن وزير ومعاه فلوس الدنيا والآخرة، وماعندوش طاقة عمره ما هينجح في حياته، ويبقى مافيش فايدة"*.

- المعايير المادية

ظهرت المعايير المادية لدى "هيام"(٣) بمفردها إذ أكدت إن أهم معايير نظرتها للأشخاص هى الموارد المادية، فترى أن مثل هذه العلاقات هى الأفيد والأنجح وتعود عليها بالنفع وتحقيق الأهداف.

"أنا صريحة، أنا أهم حاجة بتحكم علاقتي بغيري هي الفلوس، وعلى فكرة مش لوحدي الناس كلها كده، بتحكم على بعضها بفلوسها، المثل بيقول "الفقير ريحته وحشة، ومعاك قرش تساوي قرش وبالذات بقى في زماننا ده، واللي معاه فلوس هينفعني وهاساتفيد منه أنا عاوزة أطلع مش هأنزل، جاور السعيد تسعد".

ب- رؤية الآخر للذات

بسؤال الحالات عن الكيفية التي نظر الآخرون بها إليهم، قاموا بعقد مقارنة تلقائية ما بين هذه الرؤية في مرحلة قبل الحراك الاجتماعي ومرحلة ما بعد الحراك الاجتماعي؛ ليتبين أن السعي وراء تغيير رؤية الآخر لذواتهم، كان بمثابة دافع حقيقي ؛ للأخذ بأسباب الصعود الطبقي، ومن أبرز نماذج السرد القصصي على ذلك نموذج تجربة

(١) حالة رقم (٥).
(٢) حالة رقم (١٠).
(٣) حالة رقم (٧).

"أحمد"(١): *"قبل ما أنجح وأغير حياتي كانت كل الناس شايفني واحد عادي، فقير شغال شغلة أهله، وكمان كانوا بيحبطوني لما يلاقوني بذاكر بيقولوا لي "يا أخويا اشتغل ساعد أبوك، وهات لقمتك ومصاريفك مذاكرة إيه وبتاع إيه، المذاكرة دي للناس المرتاحة"، لحد ما بدأت أشعر إني فقير ضعيف لحد ما حصل موقف البنت اللي حبتها وعايرتني، فقررت أغير وصمة العار اللي ماسكة فيا دي إني نقاش من عيلة فقيرة، وبعد ما نجحت ووصلت للنجاح ده كله، نظرتهم اتغيرت تمامًا، وكمان بعد ما بقيت أسافر، وأحضر المؤتمرات مع الرئيس السيسي، بقت الناس توقفني في الشارع وتتصور معايا، وكمان بقى كل اللي اتريق عليا زمان بيجي يستشرني في مشاكله وقضاياه، وقدرت أغير نظرتهم ليا إني بقيت شخصية مهمة وليها رأي".*

ونموذج تجربة "نبيل"(٢) : *"أنا أول ما اتخرجت بالعافية طبعًا من المصاريف ومافيش دخل مكفي، وبدأت أشتغل في العيادة ماكنش في شغل خالص وكنت خلاص مخنوق على آخري، هاأعمل إيه تاني بعد ما تعبت واشتغلت؟ كان في ناس صحابي بدأوا يبعدوا عني وماكنش حد بيكلمني ولا بيعرفني، وفجأة لاقيت نفسي مش ملاحق على الشغل،شغل كتير، وفضلت أشتغل وأكبر، وبقى عندي عيادات بره مصر وجوه مصر، أنا قعدت تقريبًا ٤ سنين مش بنام، من كتر ما اشتغلت، وبعد كده اتفاجئت إن الناس دي بتحاول تكلمني ونظرتهم ليا اتغيرت تمامًا وبيحاولوا يقربوا مني أكتر من الأول، وعندي كمان ناس لسه متخرجين من الكلية لما بيشوفوني بيجروا عليا ويتصوروا معايا، بقف كده أسأل نفسي هو أنا للدرجة دي مهم؟ وبرد على نفسي بقول الحمد لله".*

جـ- محاكاة الآخر:

انعكست رؤية الحالات للآخر على أفعالهم وممارستهم الاجتماعية، فبدأوا بمحاكاته ومجاراة سلوكه الاجتماعي؛ لذلك حرصت الدراسة على التعرف على الآخر الذي قامت الحالات بمحاكاته، والكشف عن انتمائه الطبقي، والعوامل الدافعة لهذه المحاكاة، وعلاقة هذه المحاكاة بعملية الحراك الاجتماعي لديهم، وتمكنت الدراسة من

(١) حالة رقم (٦).

(٢) حالة رقم (٣).

التعرف على هذه القضايا المهمة بسؤال الحالات عن وجود القدوة في حياتهم، ومدى تأثيرها على قراراتهم التي اتخذوها من أجل تحقيق الحراك الاجتماعي باعتبارها من المؤشرات الدالة على عملية محاكاة أفعال الآخرين وممارساتهم الاجتماعية، فتبين أن جميع حالات الدراسة كان لديها نموذج أو قدوة سعت إلى محاكاتها بدرجة كبيرة، وكان لهذه القدوة دور فعال في تعبئة دوافع تحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد لدى الحالات، واتفقت الحالات على سمتين أساسيتين لابد من توافرهما في القدوة أو النموذج المحاكي وهما:

- الانتماء إلى الشريحة العليا.
- النجاح.

وهما الأكثر أهمية عن غيرهما من السمات وارتباطًا بقضية الحراك الاجتماعي، فانتماء القدوة إلى الشريحة العليا، وقدرتها على تحقيق النجاح في مجالاتها الحياتية كانا بمثابة المعايير الأساسية من قبل الحالات ؛ لانتقاء القدوة وتقليدها كما شكلا لديهم أهم الدوافع إلى صنع وابتكار آليات تمكن من الصعود الطبقي مثلهم في ذلك مثل الفرد الذي قام بمجاراته اجتماعيًا، ومن أمثلة نماذج القدوة في حياة حالات الدراسة مايلي :

- **الأصدقاء**

ظهر الصديق الثري الناجح القادر على تحقيق أحلامه لدى الحالات كقدوة شجعتهم على السعى والأخذ بالأسباب من أجل تحقيق الأهداف فيقول "نبيل"(١):

" عندي واحد صاحبي أنا باعتبره قدوتي في كل حاجة ناجح وشاطر، وغني ولا يعرف الفشل أبدًا، وهو شغال دلوقتي في دبي، وأنا على طول متواصل معاه، وده هو الشخص اللي أحب أبقى زيه، وبلجأ له على طول في كل حاجة".

- **صاحب العمل**

ثاني شكل من أشكال القدوة لدى الحالات، فيسرد "أبو كريم"(١) قصته مع صاحب العمل الذي ظهر في حياته كقدوة، بل وسانده إلى أن تمت قصة صعوده

(١) حالة رقم (٣).

الطبقي : *"أنا قدوتي الحاج عدوي كان حد كبير وفاهم في المجال، وحلم عمري من زمان إني أكون زيه، وهو كمان كان محتضني علشان عارف إني شاطر ومجتهد، وعندي ضمير، وطموح، وكان بيديني فرصتي وادائي أسرار الشغل، ووقفت معاه في كل حياته لحد يوم وفاته الله يرحمه"*. ويؤكد المعنى ذاته "سليم"(٢)."*أنا قدوتي د. أحمد الأب الروحي بتاعي كنت بحلم أبقى زيه، وفضل واقف معايا لحد ما بقيت شريكه في المركز، حاجة كنت بحلم بيها وقدرت أحققها بفضل الله"*.

- **الجيران**

تأثرت الحالات أيضًا بمحيط الجيرة، فقد لفت أنظارها الشخصيات الناجحة والثرية في إطار بيئتها التي نشأوا فيها، فتحكي مروة(٣) : *"أنا جارتي هى سبب طموحي، وهى كانت قدوتي، ست شاطرة ناجحة، وعندها فلوس ما تتعدش، كانت تمشي بشوال فلوس في الشارع توزعه على الغلابة، وأنا صغيرة كنت عاوزة أعرف بتجيب الفلوس دي منين، عرفت لما كبرت إن ده من التجارة، وبسببها كرهت فكرة إني أكون موظفة وليا أجر أو دخل محدود، وظهرت عندي كاريزما التاجر، وبقيت أحب التجارة فالفضل كله يرجع ليها"*.

ويسرد عبد الله(٤): *"كان في دكتور جارنا هو ده سبب إني أغير حياتي، كنت ملاحظه من أول ما جه سكن جنبنا وفتح عيادته لاقيت إن تفوقه خلاه يبقى دكتور مشهور وناجح ومعاه فلوس كتير في مدة قليلة فجأة بقى عنده مرسيدس، وبعد شويه مركز علاجي كبير، فقررت أبقى زيه"*.

- **شخصيات مؤثرة مشهورة**

يطلق تعبير الشخصية المؤثرة المشهورة على بعض الأفراد الذين يمتلكون القوة والقدرة على التأثير في الغير لدرجة تصل إلى التأثير على قراراتهم، وهناك

---

(١) حالة رقم (١).
(٢) حالة رقم (٢).
(٣) حالة رقم (١٠).
(٤) حالة رقم (٤).

أشخاص يتعدى تأثيرهم النطاق المحلي ؛ ليترك أثرًا عالميًا في مجال معين أو في عدة مجالات، وهو ما عبرت عنه بعض حالات الدراسة حين قررت تقليد ومحاكاة بعض الشخصيات المؤثرة والتي ذاع صيتها مثل أحمد(١) الذي اتخذ قدوته "محمد صلاح" لاعب الكرة الشهير مقتفيًا أثره في الصبر والكفاح والصعود الطبقي الهائل الذي تمكن من تحقيقه متمنيًا أن يصبح مثله في يوم من الأيام ولكن في مجال القانون الدولي "*أنا قدوتي محمد صلاح لاعب الكرة، بحب كفاحه، وصبره، وإنه قدر يعمل حاجات كتير لنفسه ولأهله، ولقريته، وبلده أنا بقلده وهاقدر أوصل في يوم إني أكون زيه ناجح وغني ومعروف ومشرف بلدي بس في مجالي*".

بالنظر إلى رؤية حالات الدراسة للآخر عن طريق معايير حكمهم عليه، وتقييمهم لرؤيته لهم، والسعي إلى محاكاته اجتماعيًا، يتبين لنا حقيقة الذات لدى أفراد الشريحة الفقيرة بأنها ليست ذات مغلقة بل منفتحة على الوجود العام وعلى غيرها من الشرائح والطبقات الاجتماعية، منطلقة من رؤية اندماجية إيجابية، تسعى من خلالها إلى تحقيق مصالحها الفردية مراعية أيضًا بتوازن دقيق المصالح الجماعية، وذلك عكس ما ساد في الدراسات السابقة التي كانت تعمم انعزالية الفقراء وانغلاقهم المجتمعي.

ثاني عشر : محددات رأس المال الاجتماعي والحراك الاجتماعي

حدد "بورديو" رأس المال الاجتماعي باعتباره مجموعة من الموارد الفعلية أو المحتملة المرتبطة بامتلاك شبكة من العلاقات الاجتماعية يبذل الأفراد جهدًا إراديًا منظمًا ؛ لامتلاكها على نحو غائي يسمح لهم بالحصول على الموارد الاقتصادية التي تساهم في تغيير وضعيتهم الطبقية بصورة أكبر، وقد انقسمت العلاقات الاجتماعية لدى حالات الدراسة إلى نمطين هما:

النمط الأول : العلاقات الاجتماعية التضامنية.

النمط الثاني :العلاقات الاجتماعية الصراعية.

---

(١) حالة رقم (٦).

سوف يتم التعرف على كل نمط من هذه العلاقات وعلى الكيفية التي استفادت منها الحالات في تحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد.

النمط الأول : العلاقات الاجتماعية التضامنية

نمط من العلاقات الاجتماعية ساد بين حالات الدراسة وبين مجموعة من الأفراد قائم على المساندة والتضامن الاجتماعي الذي ساهم بدور كبير في مساعدة الحالات على تحقيق أهدافها وقد ظهرت هذه العلاقات الرأسمالية الاجتماعية في عدة مستويات هي :

١ – مستوى الأهل والأقارب

أ- الوالدان

ظهر دور الوالدين في مساندة أبنائهم والتضامن معهم من أجل مساعدتهم على بداية مشوار حياتهم، وهذا ما حدث بالفعل مع هيثم[١] :"*أنابدأت مشواري من سفري السعودية، ولولا إن أبويا وأمي استلفوا، وعملوا جمعيات، وكونوا معايا مبلغ أسافر بيه، ماكنتش هبدأ أعمل حاجة*".

ب – شريك الحياة

مارس شريك الحياة، وخاصة المنتمي إلى شريحة اجتماعية أعلى دورًا لا يُستهان به في مساعدة بعض حالات الدراسة على تحقيق حلم الصعود الطبقي ومن أبرز النماذج المعبرة على ذلك ما سرده "عبد الله"[٢]:

"أنا مراتي كان ليها دور مهم إني أغير حياتي، هى من مستوى وأنا من مستوى ثاني خالص، بس هى وقفت جنبي وساعدتني، أنا فاكر أول ما اتقدمتلها وجينا نفرش الشقة، عملت قرض بـ٢٠٠٠٠ ألف جنيه، وده كان كل اللي حيلتي، هي وأهلها حطوا أودام المبلغ ده مبالغ في الفرش والعفش والفرح، وهما مش بيفرشوا أي فرش، وعملوا الفرح في أرض السليمانية وكان فرح رهيب، وكمان ما أنساش لما تنازلت ورضيت تعيش معايا في شقة إيجار، ولحد النهارده واقفة جنبي وبتساعدني هي

(١) نموذج حالة (٥).

(٢) حالة رقم (٤)..

وأهلها، الحقيقة هي غيرت حياتي". وتضيف "سارة"[١] "*أنا التحول في حياتي عمري ما كان هيحصل لولا جوزي الثاني الأولاني ده خلاني في قاع المجتمع، الثاني بقى شدني من القاع ده بيثق فيا وفي قدراتي، وبيحبني، وبنشارك بعض في كل حاجة*".

٢- مستوى علاقات الجيرة

لم يتخل الجيران المنتمون إلى الشريحة العليا عن تقديم المساندة الاجتماعية لبعض حالات الدراسة بصورة ساهمت في تحقيق أهدافهم، ومن أبرز النماذج المعبرة على ذلك "فريدة"[٢] : حين قصت ما قام به جارها الثري بمساندتها طوال الوقت ومساعدتها في الإنفاق على تعليم أولادها: "*أنا لولا وقفة جاري أسامة صاحب المكتبة، ما كنت عرفت أعلم عيل، ولا أودي مدارس، ورغم إنه من عيلة مقتدرة، لكن كان بيحس بالناس الغلابة اللي زيي، وكان فخور بيا إني بعلم ولادي، ودايما مساندني، عمري ما طلبت منه حاجة واتاخر عليا، فلوس أو أدوات من المكتبة أو كتب للولاد إلا وادائي وصبر عليا، ربنا يقعد له في صحته وفي ولاده*".

٣- مستوى العمل

أ- صاحب العمل

كان لصاحب العمل دور في مساندة ودعم بعض حالات الدراسة ؛ حتى تمكنوا من الاستفادة من هذه العلاقات واستثمارها في تحقيق منافع مادية على المدى البعيد، ومن أمثلة ذلك : ما حدث مع أبو كريم[٣]، وذكر في أكثر من موضع سابق، وما حدث مع سليم[٤]. فيسرد قائلاً: "*أنا أكتر حد وقف جنبي د/ أحمد صاحب المركز الطبي، ماكنتش أحلم إني أشتغل معاه من أساسه، نزلت عنده تدريب في بداية مشواري، وبعدها ومن وقفته جنبي بقيت بفضل الله وبفضله شريك معاه في المركز، وده بالنسبة ليا وبالنسبة لناس تانية كتير حلم مش بسهولة يتحقق*".

---

(١) حالة رقم (١١).

(٢) حالة رقم (٩).

(٣) حالة رقم (١).

(٤) حالة رقم (٢).

تبين مما سبق أن العلاقات الاجتماعية القائمة على أساس التضامن تمثل قوة تساعد على خلق وترسيخ مزايا اجتماعية واقتصادية للفاعلين.

النمط الثاني : العلاقات الاجتماعية الصراعية

يذهب "بورديو" إلى أن المجال هو الفضاء الذي تتم فيه عمليات إنتاج وتوزيع واستهلاك واستثمار مختلف أشكال الموارد الرمزية والمادية، أو بمعنى آخر المجال هو: ميدان الصراع ؛ للتحكم في الموارد وتحقيق المصالح، صراع بين القادم الجديد الذي يحاول اختراق حدود المجال لحيازة مركز أو منصب داخله، والفاعل المتمركز داخل المجال الذي يحاول الدفاع عن احتكاره للمركز، وعليه فلا يمكن فهم بنية المجال إلا من خلال الكشف عن حالة علاقات القوة بين الفاعلين في المؤسسات التي يضمها هذا المجال في لحظة تاريخية محددة، وتبلور المجال المعني بالدراسة في مجال العمل الخاص لحالات الدراسة، وبخاصة الحالات التي بدأت علاقتها داخل مجال عملها في صورة علاقات صراعية، ثم تمكنت بمرونة وذكاء إلى تحويل هذه العلاقات الصراعية إلى علاقات اجتماعية ؛ للحصول على مكانة أعلى ولزيادة رصيد رأسمالهم النوعي داخل مجال عملهم، ويعبر "أبو كريم" عن ذلك بقوة فيقول:

" الناس هنا في الشارع كلها كانت بتبيع كشري، وكانوا بياخدوا من الحاج عدوي زيهم زيي، لكن معاملة الحاج عدوي ليا واهتمامه بيا علشان أنا مجتهد وبحب شغلي ده خلاهم مش طايقيني ومش عاوزين أكون موجود في السوق، بس أنا فاهم إن ما عدوك إلا ابن كارك، فركزت في شغلي وقدرت أميز نفسي عنهم، وفي نفس الوقت بعاملهم بالحسنى عملت زي ربنا ما بيقول ادفع بالحسنى، ومرة على مرة وبالصبر بدأوا يحبوني، وبدأ لما حد يقع في مشكلة أقف جنبه، وأساعده لحد ما ثبت رجلي في المكان وعليت أكتر، وعلى فكرة كمان كان في عداوة ليا من ناس من بره الشغلانة كنت بحس من نظراتهم لياعاوزين يقولوا إزاي واحد بيسرح على عربية كشري بيكسب أكثر من مننا، و إحنا معانا شهادات، أنا بقى ماكنش بيهمني الصراعات دي كلها، أنا فكرت في شغلي وبس، وعاملتهم كويس وحلو كمان، ودلوقتي بقيت أنا أهم واحد في شغلي وفي المكان".

كما تسرد "مروة"[١] أيضًا قصتها وهي تقتحم مجال عملها وكيف أنها قوبلت بالرفض ثم تمكنت من تحويل هذا الرفض إلى علاقات اجتماعية وطيدة:

"أنا أول ما قررت أنزل أشتغل في سوق بيع قطع غيار السيارات فكرت أنزل بحاجة تميزني، فاشتغلت في قطع غيار الهيدروليك، وده كان حاجة مش موجودة ومش معروفة، وبعدين علشان كمان أنا ست كان الرجالة الكبار في السوق مستغربين ومش طايقين نفسهم، كنت باسمعهم يقولوا هو السوق ناقص ستات، ما تقعد في البيت تعمل لها أكلة، وتربي عيالها، ما اهتمتش بكلامهم، بدأوا يضايقوني بمواقف وتوقيع بيني وبين الناس في المنطقة، كبرت دماغي وركزت في شغلي، وبعد شوية قلت طيب أنا ممكن أقرب منهم وأستفيد منهم، بس كنت فاهمة إن ده محتاج وقت وهيحصل بالتدريج، وبالفعل بدأت أعاملهم كويس جدًا، وأبعت لهم هدايا، وأقف معاهم في أزماتهم، وأفرح لفرحهم، لحد ما بقى ليا وجود في السوق، ومش بس كده بقى ليا كلمة مسموعة ولمابيكون في مشكلة بنعمل قعده وباكون أنا موجودة وليا رأي، وبقى يتعمل لي حساب في كل كبيرة وصغيرة، حتى كمان بقوا الرجالة المعلمين الكبار دول بيستلفوا مني فلوس، هو مبدأ وساري على الكل المصالح بتتصالح، والعبرة في النهاية، بس كله بالصبر وطول البال".

وبالنظر إلى شكل العلاقات الاجتماعية [التضامنية أو الصراعية] التي سادت بين حالات الدراسة وبين غيرهم من الأفراد يمكن القول بأنه دائما توجد مصلحة اقتصادية كامنة داخل كل رأسمال نوعي، يعبر عنها الأفراد في صورة ممارسات طبقية أى الأنشطة التي ينخرطون فيها بوصفهم أعضاء في جماعات معينة من أجل تحقيق مصالحهم الاقتصادية والاجتماعية والطبقية على حدٍ سواء.

ثالث عشر: نتائج الدراسة

١- تبين عجز وقصور نظرية ثقافة الفقر والهامشة الثقافية عن تفسير وفهم حياة الفقراء فقد تمكنت جميع الحالات من تحقيق حراك اجتماعي صاعد، حراك بالنضال، مقارنة بالأوضاع الاقتصادية والاجتماعية لآبائهم، والتي عبرت

(١) حالة رقم (١٠).

عنها مؤشرات هامة : كانخفاض المستوى التعليمى والمستوى المهني وانعدام الملكية، والتي واكبها انخفاض شديد في مستوى الدخل وعدم ثباته واستقراره عند بعض الحالات، ناهيك عن ارتفاع عدد أفراد الأسرة بصورة لاتتناسب مع معدلات الدخل والقدرة على الإنفاق، هذه المؤشرات التي تحسنت عند حالات الدراسة بصورة كبيرة وانعكست في ارتفاع المستوى التعليمي لدرجة حصول أحد حالات الدراسة على شهادة الماجستير، وارتفاع مستوى الدخل الشهري لدرجة زيادته عن ٣٠٠٠٠ ألف جنيه شهرياً عند غالبية الحالات فضلاً عن ارتفاع مستوى الملكية وتعدد الممتلكات لديهم.

٢- عبرت عملية ابتكار الفقراء لآليات حراكهم الطبقي ومحاولات تجاوزهم الوضع الاقتصادي الاجتماعي الذي عاشوه عن تفاعل دينامي بين كافة العوامل المرتبطة بالخبرات السابقة من ناحية، والملابسات المرتبطة بالأحداث والمواقف المستجدة من ناحية أخرى، حيث أصبحت محاولات زحفهم الهاديء من شريحة اجتماعية إلى أخرى أعلى بمثابة كيان متفاعل بين الماضي والحاضر، وترتب على هذه العملية صنع كافة الآليات التي مكنت من استغلال الماضي والاستفادة منها أو تجاوزها من أجل صناعة مستقبل أفضل، فالفقراء فاعلون قادرون على الممارسة الاجتماعية النشطة، ومن أهم الآليات الحراكية التي استخدمت في الزحف الطبقي الهاديء التعليم، والمهنة، والزواج، والهجرة بنوعيها المؤقتة والدائمة . اعتمدت بعض الحالات على آلية بمفردها في حين أن جمع البعض الآخر بين أكثر من آلية ، وظهر تنوع في الفئات العمرية للحالات مما يدل على أن الرغبة في تحقيق الحراك الاجتماعي الصاعد ليست مرتبطة بمرحلة عمرية بعينها، كما سعت جميع الحالات إلى بذل قصارى جهدهم ؛ للصعود الطبقي لم يختلف الذكور عن الإناث في ذلك، ولم يختلف ذوو الأصول الريفية عن ذوى الأصول الحضرية فكل منهم تمكن من تحقيق ذلك.

٣- ظهرت مجموعة من الأحداث والمواقف الحياتية في مراحل طفولة حالات الدراسة ساهمت في تعزيز قدراتهم على اتخاذ قرارات مصيرية مرتبطة بضرورة تغيير الوضع الطبقي من أهمها :

أ- مواقف حياتية عامة في مراحل الطفولة

- الدعاء والتضرع اليومي إلى الله لحل المشكلات اليومية.
- الرغبة في محاكاة أفراد الشرائح الاجتماعية الأعلى.
- قيام الوالدين بأعمال مرهقة بدنيًا من أجل القوت اليومي.

ب-أحداث تعليمية (كالحرمان من التعليم).

جـ - أحداث متعلقة بتنمية الذات.

د- أحداث الزواج (كالرغبة في الارتباط، والطلاق، الخيانة الزوجية).

هـ- أحداث الوفاة.

٤- انقسمت العوامل الدافعة إلى عملية الحراك الاجتماعي لدى الحالات إلى:

أ-الخصائص الموضوعية للسياق

تبين أن تردي الخصائص الاقتصادية للهابيتوس الخاص بالأسرة المعيشية الأولى التي نشأت فيها الحالات، وعدم رضاهم عنه، كان بمثابة الدافع الرئيسي إلى تغيير وضعهم الطبقي، مؤكدين على أن ندرة الإمكانيات والموارد المادية، ومانتج عنهما من الشعور بالحرمان الشديد ساهم بدرجة كبيرة في تشكيل خصائصهم الذاتية الإيجابية التي عبرت ثقافة الطموح والإنجاز والمرونة في مقابل ثقافة السلبية واللامبالاة والتراخي.

ب - الخصائص الذاتية للفاعلين

تم دراستها في ضوء ثلاثة مؤشرات هى:

١- رؤية الذات: اتضح أن الطابع العام لرؤية الحالات لذواتهم طابع إيجابي عبر عن قيم إيجابية مثل: المرونة، والرغبة في النجاح، والإبداع، والشعور بالمسؤولية، وإتقان العمل، وتقوى الله، والتخطيط،والمخاطرة، والاهتمام والوعي بالقضايا المجتمعية، التي تم توظيفها جميعًا في تحقيق الحراك الاجتماعي،

وظهر أيضًا وجود علاقة طردية بين الشعور بالرضا عن الذات وبين إنجاز الأهداف.

٢- رؤية الآخر للذات : ظهر السعى وراء تغيير رؤية الآخر لذوات الحالات بمثابة دافع رئيسي للأخذ بأسباب الصعود الطبقي من أجل تغيير هذه النظرة إلى نظرية إيجابية.

٣- رؤية الآخر: كان لها دور مهم في دفع الحالات إلى الحراك الطبقي عن طريق محاكاة وتقليد الآخرين بصفة خاصة ممن انتموا إلى الشرائح الاجتماعية العليا.

هكذا تشكلت رؤية الحالات لذواتها في ضوء رؤية الآخر لها، ورؤيتها هي للأخر الأمر الذى يوحي بأن الذات الفقيرة ليست منعزلة أو مغلقة، بل هى ذات نشطة ومنفتحة وإيجابية.

٤- انقسمت العلاقات الاجتماعية المحددة لرأس المال الاجتماعي المعبر عن الموارد الفعلية من العلاقات التي تمتلكها الحالات عن طريق جهد مبذول منظم وإرادي للحصول عليها على نحو غائي يسمح بالحصول على الموارد الاقتصادية إلى:

(أ) علاقات اجتماعية تضامنية: ظهرت في مجال الأسرة، والأهل والأقارب، ومجال الجيرة، ومجال العمل، وتمكنت الحالات من الاستفادة من هذه العلاقات ؛ لتحقيق أهدافها.

(ب) علاقات اجتماعية صراعية : تبلورت في مجال العمل، وبدأت بشكل علاقات صراعية، ثم تمكنت الحالات بمرونة وذكاء إلى تحويلها إلى علاقات اجتماعية ناجحة ذات طابع إيجابي اندماجي ؛ للحصول على مكانة اجتماعية أعلى في ضوء زيادة رأس المال النوعي.

رابع عشر : التوصيات

تتقدم الدراسة إلى وزارة التضامن الاجتماعي والتنمية ووزارة التخطيط والتنمية الاقتصادية بالتوصيات التالية :

١- وضع استراتيجية متكاملة تهدف إلى القضاء على الفقر قائمة على تفعيل مبدأ التشاركية الاجتماعية بين الدولة والفقراء أنفسهم باعتبارهم ذوات نشطة قادرة على المشاركة والتغيير

٢- نشر الوعي بالأوضاع والاحتياجات الطبقية للفقراء لما للوعي من دور في تشجيعهم على تغيير أوضاعهم إلى الأفضل.

٣- تكثيف برامج تمكين الفقراء وخاصة المرأة.

٤- تنظيم دورات وورش عمل لتنمية مهارات وإمكانيات الفقراء، فهم كمورد بشري لابد من استغلاله في تحقيق تنمية ذواتهم أولاً ثم تنمية مجتمعهم.

٥- تسهيل إجراءات قروض المشروعات الصغيرة والمتناهية الصغر للفقراء بما ييسر لهم توفير فرص عمل وتحسين نوعية حياتهم والإندماج المجتمعي .

قائمة المراجع

١. ابتسام، كوشي، محمد، كاوجة،(٢٠٢١)، الحراك الاجتماعي وعلاقته بالمتغيرات المجتمعية للمجالات الاجتماعية في المدينة الجزائرية: دراسة ميدانية لترامواي ورقلة، *مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية* ص ص: ٣٣٧ – ٣٤١، الجزائر.

٢. إبراهيم حسني،(٢٠١١)، الجسد والطبقة ورأس المال الثقافي: قراءة في سوسيولوجية بيير بورديو، إضافات، *المجلة العربية لعلم الاجتماع*، مركز دراسات الوحدة العربية،ع(١٥)، ص ص: ٥٥– ٧٦ .

٣. أبو ليلة،علي،(٢٠٠٩)، التعليم الجامعي والحراك الاجتماعي: دراسة في الواقع المصري، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر.

٤. إدجار، أندرو، جويك بيتر، ٢٠١٤، موسوعة النظرية الثقافية: المفاهيم والمصطلحات الأساسية،ترجمة : هناء الجوهري، ط (٢)، مصر، المركز القومي للترجمة.

٥. أنور، حسين، (٢٠٠٦)، الهجرة غير الشرعية والحراك الاجتماعي: بحث ميداني في قرية مصر، Journal.ekb.eg

٦. البداينة، ذياب، المجالي، فايز، ١٩٩٦، الحراك الاجتماعي بين الأجيال والتفضيل المهني لدى الأبناء، *مجلة مركز البحوث التربوية*، جامعة قطر، الكرك ، العدد التاسع، ص ص: ٢٠٧– ٢٤٣ .

٧. بورتا، دوناتيلا، كيتنج، مايكل،(٢٠٢٠)، مداخل ومنهجيات البحث في العلوم الاجتماعية : مدخل تعددى، ترجمة : منال زكريا وآخرون، مراجعة : أحمد زايد، المركز القومي للترجمة، مصر.

٨. بوزيدي، سليمان، (٢٠٢٠)، النشاط الاقتصادي غير الرسمي وحركية الأفراد العاملين في الوسط الحضري، *مجلة الحوار الثقافي* جامعة عبد الحميد بن باديس،

كلية العلوم الاجتماعية، الجزائر، مخبر طوار الحضارات والتنوع الثقافي وفلسفة السلم، ص ص: ٩٣- ١١٢.

٩. تقرير لمجموعة البنك الدولي(2018): توقف الحراك الاقتصادي في البلدان النامية خلال الثلاثين عامًا الماضية ، WWW.albankaldawli.org

١٠. حسيب، القرداغي، ٢٠١٣، واقع الحراك الاجتماعي في المجتمع الكوري: إشكاليات ومؤشرات دراسة ميدانية في إقليم كوردستان – العراق، مكتبة المجتمع العربي للنشر والتوزيع، العراق.

١١. حسين،حوتة، (٢٠١٧)، الفقر والحراك التعليمي بحث ميداني في محافظة بني سويف، مجلد (٤٥)، عدد يوليو، *حوليات آداب عين شمس*، كلية الآداب، جامعة عين شمس، القاهرة ص ص: ٨٣- ١٢٩.

١٢. حمدي، محمد، (٢٠٢١)، الحراك الاجتماعي والتحديات الأمنية، *مركز الإعلام الأمني*، البحرين، ص ص :١ – ٢٥.

١٣. رؤية مصر ٢٠٣٠ جمهورية مصر العربية، رئاسة الجمهورية، مصر.

١٤. رايت، أريك، (٢٠١٨)، مداخل إلى التحليل الطبقي، ترجمة: خالد عبد الفتاح، مكتبة الأنجلو المصرية، مصر.

١٥. زكي، رمزي، (١٩٩٨)، وداعًا للطبقة الوسطى، مكتبة الأسرة، مصر.

١٦. زايد، أحمد، (٢٠١٣)، التعلم والحراك الاجتماعي في مصر، *المجلة العربية لعلم الاجتماع*، يناير ع (١١)، دار المنظومة، مركز البحوث والدراسات الاجتماعية، مصر، ص ص :١٢٩-١٥٣.

١٧. سكوت، جون، مارشال، جوردون،(٢٠١١)، موسوعة علم الاجتماع، مجلد (٢)، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة،مصر.

١٨. سميث شارلوت، (٢٠٠٩)، موسوعة علم الإنسان: المفاهيم والمصطلحات الأنثروبولوجية، ط(٢)، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، المركز القومي للترجمة، مصر.

١٩. سيكوك، قويدر، بوطقوقة، مبروك، (٢٠١٣)، الإنتاج الرمزي عند بيير بورديو، التدوين، كليةالعلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة زهران.

٢٠. شكر، محمد،(2020)، الحراك السياسي والأمن الاجتماعي الاقتصادي في المجتمع المصري: دراسة ميدانية على عينة من النخبة المثقفة بجامعة الزقازيق وبور سعيد، ع (١٥) *مجلة كلية الآداب*، جامعة بور سعيد،بور سعيد، ص ص: ٣٢١ – ٤٠٢.

٢١. صغير، حياة،(٢٠١٦)، قراءة في الحراك الاجتماعي والسياسي بالمنطقة العربية، حالتا تونس ومصر بعد الثورة، *مجلة الحوار الثقافي*، جامعة عبد الحميد بن باديس، كلية العلوم الاجتماعية، دار المنظومة، مجلد (٦)، ع(١)، ص ص: ١٦٦-١٧٢.

٢٢. الضبع،عبد الرؤوف (١٩٩٥)، التعليم والحراك الاجتماعي والمهني: العلاقات والآليات كما تعكسها دراسة ميدانية في محافظة سوهاج، *المجلة المصرية للتنمية والتخطيط*، معهد التخطيط القومي، مصر، مجلد (٣) ع(٢) ص ص: ٨٠-١٣٢.

٢٣. عبد الحافظ، مجدي، (١٩٩٦)، جدلية تخارج الذات، الذات والمجتمع في مصر، *أعمال الندوة السنوية الثالثة لقسم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة*، القاهرة، ص ص : ١٥٤- ١٧٠.

٢٤. عبد ربه، علي، (١٩٩٥)، اسهامات التعليم في دخل الفرد والمجتمع وعلاقتها بالحراك الاجتماعي والفوارق الاقتصادية وخفض نسب الفقر بين أفراد المجتمع المصري، *رابطة التربية الحديثة*، دار المنظومة، مجلد (١٠)، ص ص: ٣٩- ٧٤.

٢٥. عبيد، محسن، (٢٠١٦)، الأبعاد الاجتماعية للحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي، قسم علم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة القادسية، ص ص: ١-٤٠.

٢٦. عمران، نبيل، (٢٠١٦)، الأبعاد الاجتماعية للحراك الاجتماعي في المجتمع العراقي، *مجلة كلية التربية للصناعة والعلوم*، جامعة الكوفة، الكوفة، العراق، ع(١١)، ص ص: ١-٤٥ .

٢٧. غدنز،أنتوني،(٢٠٠١)، علم الاجتماع، ط٤، ترجمة: فايز الصياغ، المنظمة العربية للترجمة،، بيروت، لبنان.

٢٨. فوزي سامح (٢٠١٩)، رأس المال الاجتماعي في مصر: تأملات في بناء المواطن، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

٢٩. قنديل، أماني،(٢٠١٩)، الحراك الاجتماعي في مصر: محاولة للفهم،www.Researchgate.com

٣٠. كمال، أمال،(٢٠٠٧)، قضايا الفقر والفقراء في الإعلام المرئي: البرامج الحوارية نموذجًا، قضايا الفقر والفقراء في مصر، *المؤتمر السنوي التاسع*، المجلد الثاني، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، مصر.

٣١. لايير، برنار، (٢٠١٥)، عالم متعدد الأبعاد: تأملات في وحدة العلوم الاجتماعية، ترجمة: بشير السباعي، المركز القومي للترجمة، مصر.

٣٢. المصري، سعيد، (٢٠١٢)، إعادة إنتاج التراث الشعبي:كيف يتشبث الفقراء بالحياة في ظل الندرة، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.

٣٣. مكافحة الفقر، (٢٠٠٦)، نحو مجتمع المعرفة، الإصدار الثالث عشر، مركز الانتاج الإعلامي، جامعة الملك عبد العزيز، السعودية.

٣٤. موسى،أحمد، (٢٠٠٩)، ما بين الفعل والبناء الاجتماعي: بحث في نظرية الممارسة لدى بيير بورديو، إضافات المجلة العربية لعلم الاجتماع، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد الثامن،ص ص:١-٢٣.

٣٥. الموسى، عبر، (٢٠٢١)، الحراك الاجتماعي وعلاقته بالتربية، ص ص ١: ١٤،www.Researchgate.com

المراجع الأجنبية

36. Bourdieu Pierre, (1986), The Forms of Capital, Richardson, J., *Hand book of the Theory and research for the sociology of Education*, West Port, CT: Greenwood, pp. 241 -58.
37. Clark Andrew And Angelo Emanuela, Up Ward Social Mobility, Well-being And Political Preferences: Evidence From The BHPS,WWW.Researchgate.
38. Donahue C. Katherine, (2018), Anthony Leeds: Beyond Brazil: Anthony Leeds: Alem Do Brasil, v.3 Sociologia And Anthropologia, Rio De Janeiro P., p. 807 – 830.
39. Gaetntzsch Anjia, Roman Gabriela, (2018), More Education less Mobile? Diverging Trends In Income And Educational Mobility In Chile And Peru, Global Development Institute Working Paper Series, The University Of Manchester.
40. Gaventa John, (2021), Resistance as Hidden Power and Invisible Power and False Consciousness, www.power Cube.com.
41. Gorski Paul, (2008), The Myth of The Culture of Poverty, *Educational leadership*, Volume (65), Number (7), p p: 32-36.
42. Gutmann Mathew, (2021), Rituals of Resistance: A critique of Theory of Everyday Forms of Resistance, Issue (77), Vol. 20, Latin American Perspective.
43. J.I. Deary, (2005), Intergenerational Social Mobility and Mid life Status Attainment: Influences of childhood Intelligence, *Childhood Social Factor and Education*, vol. 33, p.p., 455-472, University of Glasgow.
44. Lewis Oscar, (1966), The Culture of Poverty, WWW.Researchgate.
45. Miller Byron, (2006), Castells the and The Grassroots: 1983 and Today, *International Journal of urban and Regional Research*, Volume 30,
46. Perlman Janice, (1979), The Myth of Marginality: Urban Poverty and Politics in Riode Janeiro, Berkeley University of California.

47. Platt Lucinda, (2005), Migration and Social Mobility: the life Chances of Britain's Minority Ethic Communities, Joseph Rowntree foundation, p., p.43-44
48. Poverty and its Measurement: The Presentation of Arrange of Methods to Obtain Measures of poverty, Instituto Nacional De Estodistica.
49. Scott James, Everyday Forms of Resistance, Copenhagen papersWWW.Researchgate.

The mechanisms of ascending social mobility among the poor: a study in the sociology of Quiet Encroachment

Abstract

By linking the issue of social mobility to the segment of the poor in particular, an important question comes to mind looking at the extent to which members of this segment are able to exercise relative mobility despite the limited life opportunities and move before them through the layers of the social ladder. Hence, the problem of the study starts from the following questions:

Are the poor able to exercise upward social mobility? What are the most important mechanisms that they resort to achieve this?

It also aims to:

1- Standing on the pattern and direction of social mobility [upward movement or downward movement?] among the poor.

2- Monitoring the dynamics of social mobility among the poor, and how they move across social classes at different stages of life.

3- Monitoring the objective dimensions [such as income and occupation], and subjective dimensions [such as the desire for integration, ambition and achievement, and the poor's vision of themselves and others] of the issue of social mobility among the poor segment. The study relied on the descriptive-analytical approach as one of the approaches that allow collecting facts and information about the lives of the study cases in different life stages, in order to facilitate the process of comparison between the current economic and social conditions and the economic and social conditions in the first family, which serves as a methodological guide to the form, nature and direction of the process. They have social mobility.

Key words: social mobility, poor segment, Quiet Encroachment